المناصفات في بلاد الشام
مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج والمسلمين

د.خالد سليمان الشريدة
مجلس أبو ظبي للتعليم

المناصفات في بلاد الشام : مثال من العلاقات السلمية بين الفرنج و المسلمين

د.خالد سليمان الشريدة
مجلس أبو ظبي للتعليم

ملخص الدراسة:

المناصفات أو المقاسمات ظاهرة إدارية مشتركة بين طرفي النزاع خلال الحروب الصليبية على بلاد الشام، هذه الظاهرة التي تعد دليلا لا ينكره أحد على الحوار في العلاقات والإلتزام بالواقعية بين الممالك الإسلامية والصليبيين، لا كما تنظر إليها بعض الآراء على أنها علاقات صراع متواصل لا أمن فيها ولا مصلحة، ولا سيما في المناطق الحدودية الفاصلة بينهما، والتي تشكل في معظمها أرضاً سكنية وقرى زراعية منتجة فرضت هذه الأرياف وغيرها من المصالح المشتركة وجودها على واقع التعامل بين الطرفين، لذا آثرت بحث طبيعة هذه العلاقة من خلال خلفية تاريخية هادفة لحسن العلاقة وامتدادها ، وبينت مفهوم المناصفة وتطورها التاريخي بتعدد ألفاظها وأشكالها، وتناولت أسباب اتباع نظام المناصفات وأهمية ذلك وأهم المناطق التي شملها نظام المناصفة ، ثم نشوء العلاقات الودية بين المتناصفين وتطورها ، وصور قوانين المناصفات وشروطها من خلال معاهدات طالما عقدت بالمصالحة بين الطرفين الإسلامي والصليبي، هذه المناصفة التي كانت سائدة منذ أن وطئت أقدام الصليبيين أرض الشام سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٧م ،إذ حدد قانون المناصفة طبيعة العلاقة بين الطرفين، بحيث لا يقطع ويقرر طرف في أمر دون استشارة وعلم الطرف الآخر،وتناولت أخيرا إدارة المناصفات القائمة على تنفيذ هذا القانون.

١/ الخلفية التاريخية للمهادنات بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام :

طالما أفاضت لنا الدراسات بكم كبير من البحث والتنقيب في الاتجاه العسكري بين مختلف الأطراف المتصارعة خلال العصور الوسطى عامة، وفترة قرنين من الزمان خلال مرحلة الحروب الصليبية في القرنين السادس والسابع الهجريين / الثاني عشر والسابع عشر الميلاديين على وجه الخصوص، وربما عند هؤلاء الكتاب ما يعذرهم نظراً للروح العدائية المدونة من قبل كل طرف تجاه الطرف الآخر من المسلمين والصليبيين عند بدء هذه الحروب، وزيادة أعداد القتلى من الطرفين على أرض الشام خاصة، فالبابا بدأ علاقته بالمسلمين من خلال خطابات تشجع على حرب مقدسة في نظره، ولأهمية السلطة الدينية خلال تلك المرحلة، طبعت كتابات المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحرب بطابع العداء المتواصل للمسلمين، الذي أجبر الغرب – على حد قولهم – على تجنيد الجنود وتجييش الجيوش منذ مؤتمر كليرمونت (Clermont) في فرنسا سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٥م، هذه الجيوش التي جاءت لتخليص كنيسة القيامة وتمجيد أرض وعدوا بها حسب معتقدهم، [١]وهذا الاتجاه قابله طابع عام لدى الطرف الإسلامي وانطلاقا من مبدأ دفع العدوان، أن الحرب هي محرك الحدث التاريخي وشر لا بد منه في فكر قادتهم، وفي اعتقادي أن بعض الكتاب قد يجد في نفسه علوا ورفعة إذا ما تناول هذا الاتجاه وقدمه على غيره في كتاباته ومؤلفاته، وكأن الحرب باعتقاده هي إنكار للذات وتحقيقاً للمصالح والرغبات العامة التي تخص كل فرد في المجتمع المحيط، رغم ما تؤدي إليه

١– انظر : الصوري، وليم(William of Tyre) (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥م /) تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة في ما وراء البحار، ٢ ج، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ط١ (١٩٩٠) ج١ ص ٩٩–١٠٠،فوشية الشارتري(Foucher de Charters)، تاريخ الحملة على بيت المقدس، ترجمة د. زياد العلي، دار الشروق، عمان ط١ (١٩٩٠م)، ص٣١–٣٧

هذه الحرب من قتل ودمار[1]، وهكذا تكررت الخطب ورفع الشعارات التي أججت النفوس من كلا المعسكرين فصبغت الكتابات بواقعها العسكري وكأن كلماتها سيوف تصنع النصر أكثر منه واقعا سلميا متصالحا في بعض فتراته، وأغفلت وتغافلت عن هذه الاستثناءات من حالات السلم في تلك العلاقة، فيبدو أن هناك حسن جوار ومسالمة وسلاما قد ساد بين المسلمين وجوارهم في بلاد الشام منذ مطلع الحكم الإسلامي لهذه البلاد في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، فأبو بكر رضي الله عنه يوصي قادة الفتح بالإحسان لعدوهم وعدم العبث بممتلكاتهم ويقول : " ستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم".[2]وقد أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأمان لأهل إيلياء واللد، أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وعقائدهم "وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن"، وأعطاهم حرية التنقل والإقامة[3]،ويذكر أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد عقد ثلاث معاهدات سلمية مع الإمبراطورية البيزنطية لفرض الأمن والاستقرار والسلام في بلاد الشام [4].

١- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤ م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة (١٩٦٤ م)، ص ٧٨،٦٧،٧٧ .

٢- الواقدي، أبي عبدالله محمد بن عمر (ت ٢١٩ هـ /٨٢٣ م) فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، لبنان (١٩٧٠ م)، ص ٨.

٣- الطبري ،محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الطبري ،تاريخ الرسل والملوك ،١٠ج ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،القاهرة ،دار المعارف ،(١٩٧٩م)ج٣ ،ص٦٠٩.

٤- إبراهيم بن حمود المشيقح، المهادنات بين معاوية بن أبي سفيان والبيزنطيين في القرن الأول الهجري / القرن السابع الميلادي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، ع١٠، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩ م، ص ١٣١-١٤٩.

وهكذا كانت علاقة المعسكرين الصليبي والإسلامي -الأيوبي والمملوكي- في بلاد الشام الهدف الأول في مقصد الصراع، حيث تخللت فترات هذا الصراع حالات سلم واسترخاء طالما سعى إليها الطرفان وفرضتها الضرورة لتحقيق السلام والأمن للأرض والإنسان على حد سواء، حيث وجدت بلاد حدودية خاضعة لحكم الطرفين وتمت إدارتها مناصفة، وقسمت غلتها بينهما بالتساوي، وقامت هذه الإدارة وفق قوانين متفق عليها، [1] حيث تزدهر معها حركة التجارة وتستمر دون انقطاع ليكون معها التجار والقادمون إلى هذه المناطق آمنين مخفورين بالحراسة من كلا المتعاقدين، [2] وهذا ربما للحاجة الماسة لصناعات بعضهما وتبادلها فيما بينهم. [3] فيذكر أن الأوربيين قد أغرموا بالمنسوجات الشامية وخاصة لويس التاسع(Louis IX) الذي كلف جوانفيل(Joinville) أن يشتري له كميات كبيرة منها عند زيارته لطرطوس ليوزعها على المؤسسات الدينية في بلاده [4] وهكذا التوابل وغيرها [5].

١- جوني، وفاء . دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين ٤٩٢-٥٦٩ هـ / ١٠٩٨-١١٧٤ م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م)، ص ١٠٢

٢- انظر : المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ /١٤٤١ م) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢ ج، صححه ووضح حواشيه محمد مصطفى زيادة. القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٧ م) ج ١ ص ٩٩٣ ،أحمد حطيط. المدلول التاريخي لنصوص الهدن المعقودة بين المماليك والفرنج، هدنة عكا (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) نموذجا. مجلة تاريخ العرب والعالم س ١٩، ع ١٧٩، أيار - حزيران ١٩٩٩ م / محرم - صفر ١٤٢٠هـ، ص ٤٨ .

٣- على الغمراوي . أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنج في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية. مجلة الدارة، الرياض. ع١، س١٨، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٢هـ ص ١٨٤ وما بعدها .

٤- الشامي، أحمد . تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى. دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ (١٩٨٥ م)، ص ٢٠٢.

٥- على السيد، علي محمود . العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م) ص ٥٨، ٥٩ .

ولأهمية هذه الروافد الاقتصادية جرى تنظيم عمليات الجباية وجمع الرسوم التي تشكل الرافد الرئيس لخزينة الدولة، [1] وخطط لهذا الاتجاه السلمي في إدارة المناصفات من خلال مهادنات ومعاهدات يتقرر من خلالها رسم الحدود بين الطرفين واحترامها وعدم التعرض لها وبحث مشاكل الأسرى والرهائن والطريقة التي تدار بها بلاد المناصفات، وتحديد الرسوم والضرائب ومعاملة الفلاحين على وجه الخصوص، وغيرها من القوانين التي تحدد المشتركات بين الأطراف في ظل حسن الجوار والمواصلة السلمية بين السلطة الإسلامية والممالك الفرنجية في بلاد الشام [2].

وبالإشارة إلى الفلاحين فيذكر أن عدد قرى بلاد الشام قد بلغت ست عشر ألف قرية، وسكان هذه القرى من الفلاحين، و يذكر أن البدو الذين لم يتأثروا بالصراع لوقوعهم على هامش هذه المناطق، أما الفلاحون فهم الفريسة السهلة، فتمسكوا بأرضهم، ليحدث التعايش السلمي بين الطرفين الصليبي والإسلامي – في بلاد المناصفات – على الحدود المشتركة فيما بينهما، [3] في الوقت الذي يشير فيه البعض إلى الرغبة بالمحافظة على بقاء الفلاحين في أراضيهم وهذا ما نصت عليه المعاهدات بين المسلمينوالفرنج مثل معاهدة عام ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م بين الأشرف قلاوون والفرنج في عكا، [4]. وقد ورد في نص هذه المعاهدة بالنص لكلا الطرفين : " إني والله وحق ديني ومعبودي أسلك في المعاهدة والمهادنة والمصافاة والمصادقة وحفظ الرعية طريق المعاهدين المتصادقين كف الأذية والعدوان عن الأنفس والأموال، ومتى خالفتها أو نقضتها فأكون بريئاً من ديني واعتقادي ومعبودي "[5].

١– أحمد حطيط . المدلول التاريخي، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع ١٧٩، ص ٤٢ .

٢– انظر : المقريزي . السلوك، ج١، ص ٩٦٥ وما بعدها ؛على السيد ،العلاقات الاقتصادية، ص ٦٧ .

٣– قاسم، عبده قاسم . ماهية الحروب الصليبية، الأيدلوجية – الدوافع – النتائج، منشورات ذات السلاسل، ط٢ (١٩٩٣م)، ص ٢٠٢.

٤– على السيد . العلاقات الاقتصادية، ص٥١

٥– المقريزي . السلوك، ج١، ق ٣، ص٩٧

٢/ مفهوم المناصفة والتطور التاريخي :

وردت صياغة هذا النظام الإداري بين طرفي النزاع خلال مرحلة الحروب الصليبية على بلاد الشام بألفاظ وأماكن عدة، من خلال النص التاريخي أولاً، وفي متن المعاهدات المعقودة بين مختلف الأطراف والتي أفرزت لنا مثل هذا النظام المثير للانتباه وشروطه فجاءت على الأغلب بكلمة مناصفة ثم مهادنة وموادعة ومقاسمة ومسالمة ومثالثة أومشاطرة.

وقد يرد لفظان من هذه في موقع واحد، وخير من ينوع لنا في هذه الألفاظ القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م [١].

وهكذا في مختلف المعاجم اللغوية ،فيرجع ابن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م أصل المصطلح لغويا إلى " نصّف الشيء أخذ نصفه، والنصف هذا ربما ينسب للكيل، والإنصاف أي الموضع الوسط بين الوضعين، ورجل متناصف متساوي في المحاسن، وناصفه المال قاسمه على النصف والنصيف مكيال، والإنصاف إعطاء الحق، ويقال : انتصفت من فلان أخذت حقي كاملاً، والناصفة من الأرض رحبة بها شجر، لا تكون ناصفة إلا ولها شجر."[٢]

ويعرّف لنا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م " المناصفة بأنها وسط الشيء وهو وادٍ أو أودية صغار"[٣]،ويبدو أن ياقوت قد التقى وابن منظور في هذا المعنى، حيث أشار ابن منظور في معجمه لهذا، أما القلقشندي والذي أفاض علينا بمعاهدات المناصفة، فيعرّف هذا النظام من خلال لفظ آخر يدعى الموادعة " وهي في نظره المسالمة والمصالحة وهي السكينة والوقار والصيانة عن القتال والراحة من تعب الحرب وكلفه "[٤]، وبتفسير القلقشندي ربما كنا أقرب إلى المعنى المراد في دراستنا هذه، إذ

١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤جـ شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٩٨٧م)ج١٤، ص ٣٠ وما بعدها .

٢- معجم لسان العرب، ١٥جـ دار صادر، بيروت (؟-١٩٨م) جـ٩، ص ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤ .

٣- معجم البلدان، ٥ جـ دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٧٩م)، جـ٥، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

٤- القلقشندي ، صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣ ،البقلي، محمد قنديل ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٣م)، ص ٣٣٤ .

كان هذا النظام – المناصفة– تجسيداً لواقع عاشته بعض ممالك الشام ومضافاتها، فكثيراً من الأراضي الشامية الحدودية المضطربة والمتنازع عليها بين المسلمين والصليبيين، والتي لم يستطع أحد الأطراف الاستئثار بها لنفسه بشكل قاطع، تم الاتفاق على الاستفادة المشتركة بها وتجنب مشاكلها، وذلك من خلال عمارتها واقتسام منتوجاتها بين المسلم والفرنجي وفلاح الأرض مثالثة.[1]

ونود الإشارة هنا إلى اختلاف صور مثل هذه المقاسمات ، فتتعدد النصوص التاريخية التي تشير إلى اتباع نظام المناصفة في الإدارة المشتركة، مع اختلاف الظروف التي أقر من خلالها تحقيق مصالح مختلف الأطراف، حيث ترد إشارات إلى اتباع هذا النظام في سواد العراق في أيام ملوك فارس لكثرة خيراته ووفرة مزارعه وغلاته، وإن كان هذا أقرب إلى الإدارة الذاتية منه إلى نظام المناصفة،[2] ويذكر أن شرحبيل بن حسنة [3] قد فتح طبرية سنة ١٣هـ/٦٣٣م صلحاً وناصف أهلها في منازلهم وإقطاعات كنائسهم، وهكذا كانت سيرته في جميع مدن الأردن الشامية الأخرى [4].

١– انظر : ابن شداد . النوادر السلطانية، ص ٢٠٧ ؛ الحايك، منذر . العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ٢ ج، تقديم د. سهيل زكار، دار الأوائل (٢٠٠٦ م) جـ١، ص ٨٨

٢– ياقوت . معجم البلدان، جـ٣، ص ٣١٠، ٣١١

٣– "شرحبيل بن حسنة العدوية بن عبدالله بن المطاع بن عمرو من كندة .هاجر إلى الحبشة الهجرتين، تميز بالشجاعة . جاهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع صحابته رضوان الله عليهم فتح الأردن وساهم في فتوح الشام الأخرى .كان صريحا لا يخشى في الحق لومة لائم توفي يوم اليرموك وقيل في طاعون عمواس سنة ٥١٨ / ٦٣٩م" انظر :ابن الأثير الجزري . أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور .دار الشعب . مصر [١٩٧٠م] ج٢،ص٣٩١ ،ابن حجر العسقلاني .أحمد بن علي (ت٨٥٣ / ١٤٤٩م)الاصابة في تمييز الصحابة .القاهرة . مصر .دار نهضة مصر (١٩٧٢م) ج٣،ص٣٢٨

٤– " طبرية من أعمال الأردن في طرف الغور بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وحول بحيرتها كثير من القرى المتصلة والنخيل" انظر : ياقوت. معجم البلدان، جـ٤، ص٢٠، وللمزيد في تحديد أماكن المناصفة انظر هامش الصفحات اللاحقة في مناطق المناصفات .

أما خلال الحروب الصليبية فقد اختلفت الآراء على بداية المناصفات متى وأين، فيرى البعض أنها كانت في أيام الحملة الصليبية الثالثة سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، أثناء مفاوضات صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد (Richard the Lionheart) حيث اتفقا على جعل اللد والرملة مناصفةً [١]، ويرجع ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١م نظام المناصفة إلى أيام البرسقي ثم عماد الدين زنكي في أحداث سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، حيث ناصف البرسقي الفرنج على جبل السماق وجعلت الضياع ما بين عزاز وحلب مناصفةً [٢].

وتتبعنا نصوص المصادر المؤرخة لأحداث الحروب الصليبية، فوجدنا بين أسطرها ما يخالف هذا الرأي، وأعتقد أن أول إشارة وردت بحق نظام المناصفة والمقاسمة، وإن كان هناك اختلاف في التطبيق تعود إلى عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م حيث أورد ابن القلانسي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م مفهوم المناصفة من خلال الاتفاق بين صنجيل(Raymond de Saint-Gilles) وفخر الملك بن عمار في طرابلس، أي منذ أن وطئت أقدام الجيوش الصليبية أرض الشام سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٧م [٣] وثاني إشارة تعود لأحداث سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م حيث تقرر في أمر طرابلس أن يكون للجنويين الثلث، والثلثان لريمند دو صنجيل

١- ابن شداد . النوادر السلطانية، ص٢٣٤-٢٣٥، وابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨ م) . مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ١، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات دار إحياء التراث القديم، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٥٣م)، و جـ٢ (١٩٥٧م) و جـ٣ نشر دار القلم، القاهرة (١٩٦٠م) وجـ ٤ تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة سيد عبدالفتاح عاشور، جامعة القاهرة (١٩٧٠م)، جـ٥، مركز تحقيق التراث، القاهرة (١٩٧٥م)، جـ٢، ص٤٠٢ ، توفيق، عمر كمال . الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (١٩٨٦م)، ص ٢٢٠.

٢- زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣جـ عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، جـ٢، دمشق، (١٩٥٤م)، جـ٣ (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م) جـ٢، ص ٥٩٥-٥٩٦ .

٣- تاريخ أبي يعلى المعروف بذيل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (١٩٠٨م)، ص ١٤٧ علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٣ ،علي الغمرواي، أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية، مجلة الدارة، ع١، ١٤١٢هـ ص ١٦٩ .

وللملك بلدوين(Baldwin I) ، وتمت مناصفة بين الملك بلدوين حاكم بيت المقدس هذا وظهير الدين طغتكين أتابك دمشق، على منطقة السواد وجبل عوف "فاستقر الأمر بينهما على أن يكون السواد وجبل عوف أثلاثا، للأتراك الثلث وللإفرنج وللفلاحين الثلثان، فأنعقد الأمر على هذه القضية" [1]،وثمة إشارة إلى مناصفة أخرى بين بلدوين(Balduin I) وظهير الدين سنة سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م على مناطق البقاع والجولان، [2] وهكذا اتبع هذا النظام في أيام عماد الدين زنكي في عام ٥٢٤هـ/١١٢٩م حيث التنظيم الإداري لمنطقة حارم وبعض أعمال حلب مناصفة مع الفرنج [3] وفي عهد ولده نور الدين محمود سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م تمت المناصفة بينه وبين الفرنج على بعض أعمال حلب وأنطاكيا. [4] وناصف كما ناصف أبوه على حارم سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م [5] وتمت المناصفة بين نور الدين والفرنج على طبرية سنة ٥٥٩هـ/١١٦٢م ، [6]وهذه إشارات ودلائل واضحة على أن نظام المناصفة والمقاسمة قد عرفته ممالك الشام قبل الحملة الصليبية الثالثة سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م بعقود [7] .

١- انظر : ابن القلانسي. ص ١٣٦،١٦٤ ،علي الغمراوي. ص ١٦٩ ،الطحاوي. حاتم . الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١ (١٩٩٩م)، ٢٠٢= ،الشريدة. خالد سليمان .إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي ،عماد الدين للنشر والتوزيع. عمان (٢٠١١م)، ص٩١.

٢- ابن القلانسي. ص ١٦٥.

٣- أبو شامة. شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. ٢ج. دار الجيل. بيروت (د.ت)، ج١. تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة (١٩٥٦-١٩٦٢م)، ج١. ص ٣٠-٣١.

٤- علي السيد. العلاقات الاقتصادية، ص ٤٤.

٥- ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر (ت ٨٧٤هـ /١٤٧٠م). الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد بيروت (١٩٧١م)، ص ١٤٩ ،النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب. ٣١ج، تحقيق سعيد عاشور. مراجعة محمد مصطفى زيادة وفؤاد عبد المعطي الصياد. الهيئة المصرية العامة للكتاب. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج٢٧. ص ١٥٨.

٦- النويري. ج٢٧، ص ١٥٨.

٧- الشريدة. إدارة بلاد الشام. ص٩١-٩٢.

٣/ أسباب اتباع نظام المناصفات وأهمية ذلك:

اتبع المسلمون المقيمون على هذه الأرض برعاياهم وجيوشهم، والصليبيون الغازون الوافدون على هذه الأرض نظام المناصفة لحل كثير من المشاكل العالقة بين الأطراف المشاركة في إدارة بلاد الشام. ، ويزعم الصليبيون أن لهم حقا دينيا مقدسا، لا بد لهم من تخليصهمن المسلمين، وإن أثبتت الوقائع التاريخية أن هذا الهدف أصبح ثانويا على مدى أيام وجودهم في أطراف بلاد الشام . واتفق الطرفان على المناصفة بعد نزاع وإزهاق للأرواح دون تحقيق نصر مؤكد لكلا الطرفين، ولا سيما في المناطق الحدودية الواقعة بين الدويلات الإسلامية والممالك الصليبية؛ إذ تبعت هذه المناطق أحيانا للإدارة الإسلامية، وتنازلت عن نصف إيرادها وإدارتها للصليبيين، أو قد يحدث العكس دفعاً من كل منهما لشر الآخر.[١] وكف أذاه، أي أن الأماكن التي يدور حولها الاختلاف تناصفوا عليها بتقريب وجهات النظر وتحقيق الغاية من التفاوض في فرض الأمن والاستقرار، فتكون مناصفة، وهذا ما يوضحه خطاب صلاح الدين إلى ريتشارد قلب الأسد سنة ٥٨٨هـ/١٢٩٢م بقوله : "مهما اختلفنا في قرية كانت مناصفة"[٢] إذ كره الطرفان القتال .فيقول المؤرخ الصليبي المعاصر لهذه الحملات فوشيه الشارتري كشاهد العيان على هذه الحروب:"أيتها الحرب يكرهك الأبرياء . وتبثين الرعب في أوصال من يشاهدونك ...الحرب ليست جميلة لقد رأيت المعركة واضطرب عقلي "[٣]،وهذا ما جعل أتابك دمشق من قبل يعقد مثل هذا الاتفاق مع بلدوين حاكم بيت المقدس بمناصفتة على السواد وجبل عوف [٤] .

١- نفسه. ص٩١.

٢- ابن شداد. النوادر السلطانية. ص ٢١٩-٢٢٠.

٣- فوشيه الشارتري . تاريخ الحملة على بيت المقدس . ص٦٥

٤- رنسيمان .ستيفن . تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني .بيروت (١٩٦٩م) ج٢.ص١٥٧، علي الغمراوي .أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية . مجلة الدارة . الرياض.ع١. ١٤١٢هـ ، ص١٦٩

ومثل هذه الاتفاقات عائد إلى ضعف حكام دمشق وعجزهم عن الدفاع عن حدودهم وحمايتها مما أدى إلى معاناة الفلاحين بعدم توفر الأمن لنشاطاتهم اليومية[1]،أو حتى عجز الطرفين عن مواصلة القتال والرغبة إلى السكون والراحة والاستقرار[2]ولا سيما إذا كانت هناك أخطار أخرى تهدد أحد الطرفين، فتهديد المغول للسلطان المملوكي المنصور قلاوون دفعه إلى عقد معاهدة عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م مع أمراء الإفرنج في بلاد الشام، وعقد معاهدة عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م مع فرسان الداوية "الهيكليين" في طرطوس، وعقد معاهدة عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م مع إفرنج عكا[3].ويرى النويريالمتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م أن الصليبين كانوا يأنفون بطبيعتهم الإقطاعية الإستعبادية الاشتغال بالزراعة بأنفسهم إذ كانت الزراعة في مجتمعاتهم الأوروبية للأتباع والأقنان والعبيد، فزرع لهم فلاحو بلاد الشام مقاسمة ومثالثة، واستمروا على هذه الحال طيلة الوجود الصليبي على أرض الشام.[4]

وتتمثل أهمية المناطق المناصفة في محاور عدة : أولها فرض الأمن والاستقرار ودرء خطر كل طرف تجاه الطرف الآخر، وثانيا في عمارة الأرض وبقاء أهلها فيها لأنهم يعرفون دقائقها وتفاصيلها، فقد استمر الفلاحون في زراعة أرضهم واقتسموا الحصاد

١- انظر : علي الغمراوي. أضواء جديدة، مجلة الدارة، ع١، ص ١٧٠ ،جوني،وفاء. دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين ٤٩٢-٥٦٩ هـ/١٠٩٨-١١٧٤م،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط١(١٤١٧هـ/١٩٩٧م). ص ١٠٤،علي السيد. العلاقات الاقتصادية، ص ٤٤-٤٥.

٢- المقريزي .السلوك .ج١،ق٣،ص٩٦٥،البقلي .التعريف ،ص٣٣٤

٣- للمزيد انظر: ابن عبد الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة (١٩٦١م)، ص ٤٥ ،علي السيد. العلاقات الاقتصادية، ص ٦٦.

٤- انظر : نهاية الأرب، ج٨، ص ٢٥٥ ،طرخان، إبراهيم. النظم الإقطاعية في الشرق الوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (١٩٦٨م)، ص ٢٤٢.

مع إدارتهم، وأدوا ما عليهم من رسوم كضريبة الرأس، ولم يكن للحروب أثر كبير على أوضاعهم المعيشية[1]، وإذا ما تم صلح بين الطرفين نادى المنادي في المعسكرات والأسواق بإتمام الصلح وحرية الحركة والمبادلة والدخول دون عوائق إلى بلاد الطرفين، فتعم الفرحة والسرور عند كلا الطرفين [2] وثالثا هناك أهمية أخرى لنظام المناصفة في الحفاظ على المنفعة الناتجة عن استمرار التبادل التجاري سارياً بين مختلف القوى والذي طغى تأثيره على أية اتجاهات أخرى عسكرية كانت أو سياسية [3] إذ يقول ابن جبير: " من أعجب ما يحدث أن نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين مسلمين ونصارى، واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع" [4] ، ويرى البعض أن موقف ابن جبير وحكمه هذا مبني على فترة قصيرة ومنطقة بعينها قد زارها، بعكس فترات أخرى تعرض فيها الفلاح والتاجر على حد سواء للقهر والظلم [5] ورابعا لا ينكر ما لنظام المهادنة والمناصفة من تحقيق مصالح مشتركة، وتتمثل في عرض الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس(Andronicus I) ١١٨٣–١١٨٥م / ٥٧٩–٥٨١هـ على صلاح الدين اقتسام المناطق التي تم فتحها وتحريرها في بلاد الشام مقابل مساعدة يقدمها له لإذا طلبها، ولا

١– الطحاوي، الاقتصاد الصليبي، ص ٢٠٢ ،الحايك، العلاقات الدولية، ص ٨٩.

٢– ابن شداد، النوادر السلطانية، ص ٢٣٥.

٣– الحايك، العلاقات الدولية، ص ٨٧.

٤– الرحلة، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ليدن، مطبعة بريل، ط٢ (١٩٠٧م)، ص ٢٦٠ ،عبد المجيد بهيني، أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير (النصوص – التوظيف– الواقع التاريخي) مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط ع١١، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، ص ١٨٤.

٥– ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ط١ (١٣٩٦هـ–١٩٧٦م) ص٣٠٩ ،القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٩ ، بهيني، أوضاع المسلمين، ص ١٨٤،١٨٧ ،أحمد حطيط، المدلول التاريخي، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع ١٧٩، ص ٤٩: "حيث كان الفلاح قراريا مرتبط بأرض سيده الإقطاعي، ولا يسمح له بمغادرتها إلا ما ندر، وكان كالعبد يخضع لقانون البيع والشراء بنظر البعض. وهروب الفلاح من أرضه جريمة كبرى حسب قانون "المحكمة" في القدس".

يعرف مدى استجابة صلاح الدين لمثل هذا الطلب لوفاة أندرو هذا قبل إتمام الفتح [1]، أو ربما تدهورت العلاقة بين صلاح الدين والإمبراطورية البيزنطية بعد سيطرة الجنويين على المنبر الذي أرسله صلاح الدين لمسجد القسطنطينية. [2] ومما لاشك فيه أن نظام المناصفة كان به حلول لكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الطارئة على أرض الشام. [3] وحدث تقارب وانسجام عند صليبيي الشرق نتيجة عوامل عدة منها هذا الاستقرار وامتلاكهم بيوتاً وقصوراً لم تكن لهم في أوطانهم فعاشوا حياة رغد، وعوامل نفسية تبلورت في قلة عزيمتهم القومية وضعف انتمائهم . وربما ماتت عزتهم الوطنية القادمين من أجلها بتغير حكامهم، فأصبح هدفهم الاستقرار الأمني ورغد العيش، فغيرت البيئة الشامية من أخلاقهم فأحبوا جيرانهم الجدد وأخذوا بعاداتهم [4].

وكان هناك تفاهم والتقاء مصالح بين الطرفين، وحقق بعض أهل الشام بعض العدالة لسلوك عدوهم المتولي أمرهم، عدالة ربما لم يحققها آخرون عند أبناء دينهم وجلدتهم، وهذا ربما لتقدير هذا الطرف أو ذاك من رجال الإقطاع الإفرنج لأهمية العمل الذي يقوم به هذا الفلاح، حيث كانت الزراعة الرافد الثاني بعد التجارة، لنفقات

١- انظر : Brand (C.M). The Byzantines and Saladin, Speculum Vol.٣٧, America ١٩٦٢, p.١١٨. = عبد الحافظ.. عادل حمزة . العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٢٥-١٢٥٠م / ٥٤٧-٦٤٨هـ، مكتبة مدبولي، القاهرة، (١٩٨٩م)، ص ١٥٢.

٢- " الجنويون هم أصحاب المراكب التجارية المشاركة في الحملات الصليبية " Brand. P. ١٧٠ ، وقارن ذلك في عزب ، خالد محمد . العلاقات الاقتصادية بين العالم الإسلامي والغرب، رواية تاريخية، مجلة الاجتهاد، ع٣٣، س٨، بيروت (١٤١٧هـ /١٩٩٦م) ص ٧٩ .

٣- عزب. العلاقات الاقتصادية. ص ٧٥.

٤- الشامي. تاريخ العلاقات. ص ٢٠٥.

المستعمرات الصليبية، فأستمر الفلاح في ممارسة مهنته، في وقت هجر الناس أرضهم وقل عددهم في مناطق أخرى.[1]

فعاشت مناطق المناصفات ازدهاراً نسبيا بعكس مناطق الصراع الأخرى[2] ولا سيما إذا كانت هذه المنطقة تشتهر بصناعة أو زراعة يطلبها الغير، فيذكر أن طبرية كانت تشتهر منذ القدم بالحصير، ونظام المناصفة بها أدى إلى استمرار هذه الصناعة، وهكذا الحاجات الأخرى، كالحلي وغيره من السلع الشرقية المشهورة التي لا غنى للغربيين عنها حيث صنعت خصيصا لأذواقهم وتلبية رغباتهم[3].

* * *

١- بهيني، أوضاع المسلمين، مجلة التاريخ العربي، ع١١، ص ١٨٠-١٩٠ ؛ حاتم الطحاوي، الصليبيون، مجلة الاجتهاد،دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر،بيروت ع ٩٦، ١٩٩٣م، ص ١١٩.

٢- قاسم عبده، ماهية الحروب الصليبية، ص ٢٠٧.

٣- علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٨ د وما بعدها.

٤/ أهم المناطق التي شملها نظام المناصفة:

المناطق التي شملتها المناصفات هي مناطق حدودية مشتركة بين المتعاهدين المسلمين والفرنج، وما هي حدود مشتركة اليوم قد تكون في قلب مملكة ما غدا، لذا جاء تحديد مدة المناصفات من خلال معاهدات الطرفين وتوثيقها، وذكر مساحتها ورسم حدودها مع المناطق المحيطة [١] تحديدا دقيقا بمدنها وقراها ومزارعها وأنصاف مدنها وتأريخها هجريا وميلاديا بدءا ونهاية ليلا ونهارا، "وجميع ذلك ما عين وما لم يعين" ، ثم تحديد القاطنين والقادمين وأصحاب المراكب التجارية، بهدف عدم حصول مشاكل بين الطرفين [٢] ،وأهم هذه المناطق المناصفة – كما ذكر – مع مطلع حكم الصليبيين في بلاد الشام بعض أعمال طرابلس في عهد فخر الملك ابن عمار [٣] وفي أرض السواد وجبل عوف والبقاع في عهد ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق [٤] ثم

١– ابن عبد الظاهر. تشريف الأيام . ص ١٠٦–١٠٧ ،القلقشندي . صبح الأعشى ، ج١٤، ص ٤٢ ،الحياري، مصطفى . صلاح الدين القائد وعصره، دار الغرب الإسلامي . ط١(١٤١٥هـ–١٩٩٤م) ص ٤٥٩.

٢– انظر : ابن عبد الظاهر. تشريف الأيام . ص ١٠٦–١٠٧ ،المقريزي . السلوك . ج١، ق٣، ص ٩٨٥–٩٩٧.

٣– " طرابلس من ممالك الشام مجاورة للبحر حولها جبال شاهقة ، حكمها ملوك بني عمار " للمزيد انظر: ابن القلانسي . الذيل ، ص ١٤٧ ،ابن فضل الله العمري . شهاب الدين احمد بن يحي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) . مسالك الأبصار "دولة المماليك الأولى" دراسة وتحقيق دوتيا كرافولكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ط١ (١٩٨٦م) ، ج٣، ص ٣٢٧.

٤– "السواد وجبل عوف من أعمال عجلون في شمال الأردن، حيث كان بنو عوف يسكنون ربضها ويمتنعون بها حتى قبض عليهم عز الدين أسامة وحبسهم في عهد الملك العادل" والبقاع من أعمال دمشق في الساحل الجبلي الشمالي وتنقسم إلى البقاع العزيزية والبقاع البعلبكية، وتقع بين بعلبك وحمص ودمشق، وفيها قرى كثيرة ومياه وفيرة" انظر: ابن القلانسي . الذيل . ص ٢٦٤،١٧١،العمري .مسالك ، ج٣، ص٣٢١ ،البغدادي . صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩٩هـ/١٢٤١م) . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه– ط١ (١٩٥٤م) . ج١، ص ٢١١ ،رنسيمان، الحروب الصليبية، ج٢ . ص ١٥٧.

المناصفة في الجولان في عهد حكام دمشق البوريين من آل طغتكين [1] وتمت المناصفة على حصن الأثارب، [2] وفي بعض أعمال أنطاكيا في عهد الأمير ايلغازي بن أرتق، [3] ومناصفة في حارم في سلطنة عماد الدين وولده نور الدين زنكي، [4] ثم ناصف نور الدين في طبرية وبانياس. [5]

وتمت مناصفة عامة في صيدا في عهد صلاح الدين الأيوبي [6] ثم ناصف في اللد والرملة، [7] ودخلت بعرين بالمقاسمة في عهد الملك المظفر صاحب حماة سنة ٦٦٣هـ/١٢٣٣م [8] وهكذا شيزر في عهد الملك العزيز بن الظاهر [9]، وتمت مناصفة مرقية

١- "الجولان هضبة من نواحي دمشق من عمل حوران" انظر: البغدادي. مراصد. ص ٣٦٠، يوشع براور. عالم الصليبيين. ترجمة وتقديم وتعقيب قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن. دار المعارف. القاهرة. ط١ (١٩٨١م) ص ٦٥.

٢- الأثارب قلعة معروفة بينها وبين حلب ثلاثة فراسخ" انظر: ابن الأثير. الكامل، ج١٠، ص ١٦٢، أبو شامة. الروضتين. ج١، ص٣٠-٣١، البغدادي. مراصد. ج١، ص ٢٤.

٣- ابن القلانسي. الذيل، ص ٣٠٥.

٤- "حارم حصن حصين وكورة جليلة تجاه أنطاكيا من أعمال حلب" انظر: البغدادي. مراصد. ج١، ص ٣٧١، النويري. نهاية الأرب. ج٢٧. ص ١٥٨، محمد ماهر حمادة. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ٤٨٩-٨٠٦هـ/١٠٩٦-١٤٠٤م. دراسة نصوص. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط٣. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م). ص ١١١.

٥- "طبرية تم التعريف بها مسبقا، وبانياس من أنهار دمشق. وهي اسم لقرية من أعمال دمشق ويذكر البعض أنها مدينة الجولان وبها قلعة الصبيبة". انظر: ابن القلانسي. الذيل. ص ٣٣٧، ابن قاضي شهبة.

٦- "صيدا من أعمال الشام كورتها كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار وهي ولاية جليلة واسعة العمل عديدة القرى" انظر: الصوري. الحروب الصليبية. ج ٢، ص ٨٤٤، ابن الأثير. عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م). الكامل في التاريخ. ١٢ج. تحقيق أبي الفداء عبدالرحمن القاشي. بيروت. دار الكتب العلمية (١٩٨٧م). ج١٢. ص ٨٦، العمري. مسالك. ج٣. ص ٣٢١.

٧- أبو شامة. الروضتين. ج٢. ص ٢٠٣.

٨- "بعرين بلد بين حمص والساحل والأصح في لفظها بارين وبعرين لفظ العامة لها" ياقوت الحموي. معجم البلدان. ج١. ص٤٥٢، ابن النظيف الحموي أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت منتصف القرن ٧ / ١٣م). التاريخ المنصوري. تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان. عني بنشره وتحقيقه د.أبو العيد دودو مراجعة د. عدنان درويش. مطبوعات مجمع اللغة العربية. مطبعة الحجاز. دمشق (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٢٥٢.

٩- نفسه. ص ٢٦١.

وبلاد اللكمة [1] والمرقب وبلادها من موانئ ومراسي في عهد الملك الظاهر بيبرس واستمرت مناصفة في عهد الملك المنصور قلاوون[2] ،وتمت مناصفة في عكا في عهد الملك الظاهر بيبرس وولده[3]وبعض أعمال حيفا كذلك. ونوصف في بعض مناطق الأسكندرونة[4].

وشملت المناصفات طواحين ومصايد أسماك في البحار المحيطة، وهكذا الجشارات–المراعي– وغيرها من المتاجر والمزارع وكل ما يخص حياة جماعات من المجتمع الشامي[5] إذ بعد تحديد أماكن المناصفة بحدودها وتفاصيلها وقانونها وشروطها يتم توثيقها بالتواقيع وحلف أصحاب الشأن[6] وهذه أمثلة على الشؤون التي شملها نظام المناصفة. ومما لا شك فيه أن مناطق أخرى ومصالح متنوعة ومنها الأملاك العامة كانت مناصفة، وأخرى استغلالا وملكا خاصا كانت مثالثة، اتفق الطرفان على التشارك فيها وإدارتها وقسمة واردها من خلال الإحساس بالواقع المعاش والحوار البناء المستمر بين الممالك المتنازعة.[7]

١– " مرقية قلعة حصينة في سواحل حمص رتب لها الجنود منذ صدر الإسلام واللكمة حصن بالساحل قرب عرقة" انظر: ياقوت. معجم البلدان. ج٣. ص ٣٦٥.ج٥. ص١٠٩.

٢– القلقشندي. صبح الأعشى. ج١٤. ص ٤٩ ،المقريزي . السلوك. ج١. ق٣. ص٥٩١ ،النويري. نهاية الأرب. ج٣١. ص٧٥.

٣– "عكا موضع بساحل الشام وهي من ثغور الشام الواسعة، وكانت قاعدة مدن الفرنجة بالشام . وهي ملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق" انظر: ياقوت . معجم البلدان. ج٤. ص ١٥٩ ،الحميري. محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) . الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان . ط٢ (١٩٨٤م) ص ٤١٠–٤١١.

٤– "اسكندورنة مدينة شرقي أنطاكيا على ساحل بحر الشام بينها وبين أنطاكيا ثمانية فراسخ . " انظر: البغدادي. مراصد . ج١. ص ٧٧ ،القلقشندي. صبح الأعشى. ج١٤. ص ٦٠.

٥– ابن عبد الظاهر. الروض الزاهر . ص ٣٣٢.

٦– القلقشندي . صبح الأعشى. ج١٤. ص ٣٦.٣٧. ٤٧. ،المقريزي . السلوك. ج١. ق٣. ص ٩٨٨–٨٩٨.

٧– القلقشندي.ج١٤ ص ٤٦ ،المقريزي ج١.ق٣. ص ١٧٥.

٥/ نشوء العلاقات الودية بين المتناصفين وتطورها :

يبدو كما ذكرنا سابقا، وإن كانت الحروب حتمية بين الطرفين وجهاً لوجه، إلا أن بعض الممالك والمناطق الحدودية قد حافظت على صفاء في العلاقة بين المعسكرين، هذه العلاقة دونتها لنا معاهدات تعتبر سجلاً موثقاً لا غنى للباحث من سبر أغوارها ومعرفة دلالاتها في اللفظ والمعنى معاً، وخاصة أنها تقررت من ملوك الطرفين معاً [١] إذ كان الصليبيون يحسنون معاملة الموظفين المسلمين في أماكن سيطرتهم، وأقاموا حكماً ذاتياً للمسلمين في بعض المقاطعات الريفية، فأصبح شيخ القرية مسلما، ونعم المسلمون بحسن المعاملة مثلما عامل الحكام المسلمون الفرنج في بلادهم بالرفق والتسامح والاحترام، وإن كان المسلمون يدفعون لحكام الفرنج ضريبة "الفرضة" ونصف إنتاج المحصول وضرائب أخرى على أشجار الفاكهة، بينما أعفي المسيحيون من ضريبة الفرضة ودفعوا مقابلها ضريبة العشور لرجال الدين المسيحي[٢]،وكان الفرنج يتركون للسكان المحليين كثيراً من الأموال لإدارة شؤونهم المحلية[٣] فيرى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هـ/ ١٢١٨م أن المسلمين في تبنين كانوا مع الفرنج بحالة ترفيه، يؤدون ما عليهم ولا أحد يتعرض لهم في أمورهم اليومية[٤] دونما أي اعتبار للعوامل الدينية المتباينة[٥] وعلى حد قول ابن جبير أن النصارى من أهل البلاد في جبل لبنان إذا ما صادفوا

١- الحايك .العلاقات الدولية ،ج١،ص٤٠

٢- انظر : ابن جبير،الرحلة،ص٢٧٤-٢٧٥ ،قلعجي، قدري . صلاح الدين، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت (١٩٩٢م) ص ٦١٤ ،جون هامرتن، تاريخ العالم، نشر باشراف هامرتن، الترجمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. (د . ت) م ٥، ص ١٨٦-١٨٧.

٣- سميل، ر. سي . الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ (١٩٨٢م)، ص ١٠٥-١٠٧.

٤- الرحلة، ص ٢٧٥،على السيد . العلاقات الاقتصادية، ص ٦٥

٥- عزب،العلاقات الاقتصادية ،مجلة الاجتهاد ،ع٣٣،ص٧٦

مسلماً بعيداً عن أهله جلبوا له القوت وأحسنوا إليه[1] ففي سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م أعفى الملك بلدوين الثاني(Balduin II) المسلمين والمسيحيين في مدينة القدس من الضريبة المفروضة على مزروعاتهم وترك لهم حرية التجارة والبيع والشراء، ويبدو أن هدفه كان تنشيط التجارة مع العرب المحيطون بمملكة بيت المقدس[2].

وترد إشارات كثيرة أن الضيافة وتبادل السفراء قد ألفها الناس خلال الحملات الصليبية بصفة شخصية من جهة وبصفة رسمية من جهة أخرى، فيذكر أن مسؤولا فرنجيا لقرية صغيرة من قرى عكا قد استضاف قافلة إسلامية دون معارضة من السلطة الرسمية والإدارة العليا، وقام بالضيافة على أكمل وجه،[3] وطالما لقي التجار المسلمون القادمون إلى مملكة الفرنج كل رفق وإحسان في المعاملة، والتقى التجار من كلا الطرفين في موانئ عكا وغيرها، وكان لهم خانات يقيمون فيها ومسجد يؤدون فيه صلاتهم،[4] ويبرر البعض لاستمرار الحركة التجارية على هذا النحو في ظل ظروف التوتر والحرب بين الطرفين لرفد الخزائن بالأموال اللازمة لدعم المجهود الحربي وغيره،[5] ووصل الحد إلى إقراض التجار من كلا الطرفين لبعضهم البعض في مختلف الأسواق لتحقيق الاستمرارية في هذه العمليات التجارية،[6] ثم يعود بعض هؤلاء الباحثين للقول

١- الخادم، سمير علي . الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، نشر مؤسسة الريحاني، بيروت (١٩٨٩م)، ص ١٢.

٢- فوشيه الشارتري Foucher de Charters . الوجود الصليبي في الشرق العربي، الاستيطان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (١١٢٧ - ١٠٩٥) ذات السلاسل، الكويت (١٩٩٣م) ص ٢٧٦ .

٣- الحايك . العلاقات الدولية، ج١ ص ٨٤.

٤- ابن جبير. الرحلة، ص ٢٧٦.

٥- قاسم عبده. ماهية الحروب الصليبية، ص ٢١٨.

٦- الدمشقي، جعفر بن علي(ت نهاية ق٥٦ / ١٢م) . الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشري الشوربجي، الإسكندرية، (١٩٧٧م)، ص ٧٣.

بأن وضع المسلمين في المدن التي تخضع للحكم الفرنجي كان لا يحسدون عليه وأوضاعهم متردية، حتى ساد نوع من العلاقة والاحترام بين البارونات والحكام المسلمين الذين كانوا يزورون مدينة القدس،[1] وهذا ربما ما دعا المؤرخ قاسم عبده إلى الاستنتاج بأن الدراسات – التي استقت مادتها من ابن جبير عن حسن معاملة الصليبيين للفلاحين المسلمين في بعض المناطق كتبنين– من أن حسن المعاملة هذا قد ارتبط بتبنين تخصيصا ؛ لأن كل سكانها من المسلمين، وكان الصليبيون حريصين على استمرار وجودهم وأداء عملهم على أحسن صورة، ودليل ذلك في رأيه سوء الأحوال عند الفلاحين المسلمين في المناطق الصليبية الأخرى، وإن كانوا ليسوا أحسن حالاً في المناطق الخاضعة للسلطة الإسلامية.[2]

وللارتباط الوثيق بين السلطة الدينية والوجود الصليبي في المنطقة وضعت البابوية استثناءات لتحريم التجارة مع المسلمين، وبقيت هذه التجارة مستمرة دون عوائق تذكر بين الشرق والغرب، رغم استمرارية الحروب وأوضاعها في أحيان أخرى،[3] وإن اعتقد البعض الآخر بأن البابوية قد قامت بخلاف ذلك، ودعت إلى تحريم التجارة مع المسلمين وهددت بتوقيع قرار الحرمان لكل من يخالف أوامرها وعمدت إلى تنفيذ سياستها بقوة السلاح،[4] فحظر أنوسنت الرابع (Innocent IV) التعامل مع البيزانت المقلد للعملة الإسلامية باحتوائه على عبارات إسلامية[5] وحظر مجمع لاتيران

١– "البارون Baron لقب لفئة من نبلاء المجتمع الفرنسي الأوروبي الإقطاعي في ظل نظام الحكم الملكي السائد وتعني المحارب ويلي الفيكونت في رتبته" الطحاوي.الاقتصاد الصليبي.ص١٢١ ، براور. عالم الصليبيين. ص ١٠٠.

٢– "تبنين بلدة في جبال بني عامر مطلة على بانياس تقع بين دمشق وصور" ياقوت . معجم البلدان ج٢.ص١٤، قاسم عبده . ماهية الحروب الصليبية. ص٢١٣

٣– الحايك . العلاقات الدولية . ج١.ص٨٨.

٤– عزب . العلاقات الدولية .ص٧٨

٥– الطحاوي . الاقتصاد الصليبي .ص١١٩.

الثالث(latirin) سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م هذه التجارة. وهدد من يخالف بالحرمان الكنسي،[١] وحاول البابا جريجوري الثامن (Gregory VIII ,١٩٦٩, P١٧٢ وقف هذه التجارة وهدد المدن الإيطالية بالحرمان، رغم تصميم المدن الإيطالية على اعتبار نفسها تجارية أولاً ومسيحية ثانياً، فلم تلتزم بالتهديد البابوي[٢] ، ويرى سمير الخادم أن هذا قد تم فعلاً ثم تراجع البابا كليمون السادس VI (Clement) عن هذا القرار خوفاً على خراب المدن الإيطالية،[٣] واستجاب أنوسنت الثالث (Innocent IV) كذلك لرغبة التجار الإيطاليين، مع وضع بعض الاستثناءات لبعض السلع التجارية التي تشكل تهديداً لمصالح الصليبين مما يدخل في صناعة الأسلحة والسفن الحربية.[٤]

ولأهمية هذه العلاقة المتبادلة عند الطرفين الإسلامي والفرنجي فأستمرت على هذه الشاكلة لتحقيق أهدافها. فترد إشارات إلى علاقة مسالمة بين نور الدين زنكي والإمبراطورية البيزنطية، حيث تبادلا السفارات والوفود مع الحذر الشديد لكل منهما تجاه الآخر. وخاصة في استثمار نور الدين زنكي للخلافات الناشئة بين الإمبراطورية البيزنطية والإمارات والقوى المحيطة.[٥]وترد إشارات كثيرة إلى علاقة السلم بين صلاح الدين وهذه القوى كالعلاقة بينه وبين الإمبراطور البيزنطي مانويل الأول كومنين Manuel Comenenus١١٤٢-١١٨٠ I). الذي أخبر صلاح الدين بالمؤامرة التي اشتركت بها صقلية ومملكة بيت المقدس اللاتينية بمشاركة عناصر داخلية ضد صلاح الدين الأيوبي سنة

١- Gilchrist .J. The Church and Economic Activity in the Middle Age, New York,

٢- انظر : Throop.P.A.Criticism of the Crusade a Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Philadelphia ١٩٧٥, P٢٤٥

٣- الشرق الإسلامي، ص ١٢

٤- Cave and Coulson . A source Book for Medievial Economic history ،New York ١٩٦٥ p١٠٥ د. الطحاوي . الاقتصاد الصليبي . ص١٠١

٥- عوض .محمد مؤنس أحمد. في الصراع الإسلامي الصليبي .السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١- ٥٦٩ هـ/ ١١٤٦-١١٧٤م .عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .القاهرة .ط١(١٩٩٨م)ص ١٨٥-

٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. ووقع معه صلاح الدين معاهدة بهذا الهدف بعدم مشاركة أسطوله في أية حرب ضد صلاح الدين، وأطلق مئة وثمانين أسيراً من أسرى المسلمين، وقدم السفراء إلى القاهرة في عهد الكسيوس كومنين الثاني(Alexius Comenenus II) (١١٨٠-١١٨٣م/٥٧٦-٥٧٩هـ)[١] ولم تنقطع هذه العلاقة مع خليفته أندرونيكوس الأول (Andronicus I) (١١٨٣-١١٨٥م/٥٧٩-٥٨١هـ)[٢]،ثم علاقة الصداقة بين صلاح الدين والإمبراطور الألماني فريدريك الثاني(Friedrick)، وهذا ما يظهر من خلال رسالة فريدريك الثاني إلى صلاح الدين مع مبعوثه هنري دي سيتز (Henrich de Ziets) والتي تزيد على عشرين سطراً[٣]،وترد إشارات عدة إلى سفارات واتصالات وعلاقات صداقة بين صلاح الدين والإمبراطور البيزنطي اسحق الثاني أنجليوس(Isaac II Angelus) (١١٨٥-١١٩٥ م/٥٨١-٥٩١هـ) وطلبه من صلاح الدين استرداد المدن الباقية بأيدي الصليبيين، وتمت هذه الاتصالات بوساطة مبعوثين أحدهما يدعى ميليكيتس (Melkites) والآخر يدعى باتيت(Joseph Batit)، ورافق هذه السفارات كثير من الهدايا وإطلاق سراح الأسرى ومنهم أخو الإمبراطور إسحق[٤]،حيث كانت هناك لقاءات ومراسلات، فها هو كتاب موثق بقلم القاضي الفاضل من صلاح الدين إلى بردويل[Baudouin IV] معزياً له بأبيه ومهنئاً

١- انظر : عبد الحافظ..العلاقات السياسية ص١٥١،عاشور، سعيد عبد الفتاح ،الحركة الصليبية.٢ج.القاهرة (١٩٧٥م)، ج٢.ص٧٤٠.

٢- انظر: Nicholson (I.R) . JoselynIII and the fall of the Crusader State (١١٣٤-١١٩٩) Speeulum Volume د Leiden,١٩٧٣,P.١٥٣

٣- انظر : عبد الحافظ ، العلاقات السياسية، ص ١٣٦

- C F. Conder (C. R) , The Latin Kingdom of Jerusalem (١٠٩٩-١٢٩١), London , ١٨٩٧, P.P ٢٥ →

Vinsofofs (G), Itinerary of Richard I and others to the Holyland, London, ١٨٤٨, New York ١٩٦٩, P.٨٧

٤- عبد الحافظ ،العلاقات السياسية، ص ١٥٢-١٥٣

له بالملك من بعده يقف شاهداً على ذلك : " أما بعد خص الله الملك العظيم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد، وهنأه من ملك قومه ووارثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوب الأصادق، والنعي الذي ودنا أن قائله غير صادق بالملك العادل الأعز الذي لقاه الله خير ما لقى مثله، وبلغ الأرض سعادته كما بلغه محله معز بما يجب فيه العزاء، ومتأسف لفقده الذي عظمت به الأرزاء، إلا أن الله قد هدن الحادث بأن جعل ولده الوارث، وأنس المصاب بأن حفظ به النصاب ..... ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين أدام الله سلامته، قائم عنا بالعزاء من لسانه، ووصف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخلو مكانه، وكيف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه"[1] ،إلى جانب كثير من العبارات التي توحي بالأثر البالغ على المجتمع الإسلامي وعليه هو تحديداً، وإن كنت لأشك في هذه المعاني التي تضمنها هذا الكتاب بهذه الدرجة وخاصة عند شخصية قيادية محررة رهنت نفسها وكل إحساسها لتحرير المدينة المقدسة، ولا استبعد مفاوضات قام بها الجانب الأيوبي في هذه الفترة مثل فكرة الزواج بين الملك العادل – أخو صلاح الدين– وأخت ريتشارد قلب الأسد وإن تعثر مشروع المصاهرة هذا[2] ويذكر ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م أنه في عام ٥٨٨ هـ / ١١٩٢م تقرر الصلح بين الفرنج وصلاح الدين، فأذن صلاح الدين للفرنج بزيارة بيت المقدس فزاروها وتفرقوا، وأقام بالساحل الشامي ملكاً على الفرنج والبلاد التي بأيديهم شخص يدعى الكونت هنري (le Conte Honry) " كان خير الطبع قليل الشر رفيقاً بالمسلمين[3] ،ويذكر المقريزي في أحداث سنة ٥٩١هـ / ١١٩٥ م أن الصلح تقرر بين الملك العزيز والفرنج وسمح للمسلمين كذلك بإقامة

١– للمزيد انظر : القلقشندي ،صبح الأعشى ،ج٤ ،ص١١٠–١١٦.

٢– الحياري، مصطفى . القدس في زمن الفاطميين والفرنجة، المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان، نشر مكتبة عمان (١٩٩٤م)، ص ١٧٧–١٧٨ نقلاً عن كتاب الاعتبار لابن منقذ ص ١٧٩.

٣– الكامل جـ١٢، ص ٨٦

مسجد في القسطنطينية لإقامة الصلاة، إلى جانب الإحسان للنصارى في كل بلاد المسلمين وكذلك البطاركة :" وأن يتمكنوا من إخراج موتاهم بالشمع الموقد وإظهار شعائرهم في كنائسهم "[1] ويذكرابن جبير أنه في رحلة الملك العادل سنة ٦٠٨ هـ/١٢١١ م إلى الشام والجزيرة والرها، فرتب أحوالها، ثم عاد إلى دمشق وبرفقته وضيافته وكليام الفرن(Wikliam) ومن هنا يبدو لنا أن هناك زيارات إقامة لبعض رجال الإدارة الفرنجية في ممالك بلاد الشام الأيوبية[2].

وهكذا سار المماليك على سياسة الود والمصالحة والإلتقاء هذه مع الممالك الصليبية في الشرق، وذلك من خلال تجديد المعاهدات وعقد معاهدات جديدة بين الفينة والأخرى.[3]

وكانت هناك ثقافة متبادلة بين الطرفين، فيذكر في عهد الملك الكامل بن العادل أن الإمبراطور فريدريك الثاني(Friedrich) قد ناقش الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه حول الفرق بين الخليفة والبابا، وناقشه في الحساب والمنطق والطب والمسائل العلمية، حيث يقول فريدريك في الخليفة عند المسلمين " ما أحسن هذا لكن هؤلاء القليلي العقول– يعنى الفرنج– يأخذون رجلاً من القمامة ليس بينه وبين المسيح نسب ولا سبب جاهلاً مذماً يجعلونه خليفة عليهم"[4]،ويبدو أن الصليبيين قد اختلطوا بالشرقيين وأخذوا بطباعهم وعاداتهم، وكتب النصارى بالعربية وتكلموا بها في دواوينهم[5] وتزوجوا بشرقيات وأنجبوا أولاداً، فيرد عند ابن منقذ المتوفى سنة

١– المقريزي . السلوك، جـ١، ص ١٥٨

٢– ابن جبير . الرحلة، ص ٢٧٥

٣– الطحاوي، الاقتصاد الصليبي، ص ٢٠٢–٢٠٣

٤– انظر: ابن واصل..مفرج الكروب جـ٤، ص ٢٥١

عبدالقادر، عبد الشافي غنيم . حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية في العصر النورمندي (٤٨٤–٦٦٧ هـ / ١٠٩١–١٢٦٨ م) رسالة دكتوراه، آداب، جامعة القاهرة (د، ت) ص ١٩٤

- C F . Kantorowicz (E) . Fredrick The Second (١١٩٤–١٢٥٠) translated by Lorimer (E-O) London , (١٩٣٠, P. ٩٢

- Slaughter (G) . The Amazing Fredrick , London ١٩٣٧ P.١١٢

٥– ابن جبير . الرحلة، ص ٢٧٥

٥٨٤هـ / ١١٨٨م بقول المؤرخ فوشيه (Foucher) : " نحن كنا غربيين وأصبحنا الآن شرقيين بمعنى الكلمة "[١]، حتى أطلق الغرب على الفرنج القدامى المولدين كلمة بولان Poulain أي إفرنجي مهجن، ويطلق هذا على الطفل المولود من أب صليبي وأم شرقية أوالعكس، ويستعان بهؤلاء أحياناً في بعض المهن كنقل البضائع إلى الأرصفة في مراكز الموانئ الإسلامية[٢]وتمتع المسلمون بمثل تلك الحقوق عند الطرف الآخر فيذكر أنه من حق المسلمين والمقيمين بالممالك الفرنجية -ويبدو أنهم تجار على الأغلب- توظيف أموالهم لاطلاق سراح الأسرى المسلمين وخاصة الغرباء منهم، ولا سيما إذا ما غفل أحد سلاطين المسلمين عن فك هؤلاء الأسرى، ،وإن حرصوا على فك أسرهم تفضيلاً على غيرهم[٣]،وكان هؤلاء التجار المسلمون والصليبيون يسكنون جنباً إلى جنب، وإن اختلفوا في أماكن اجتماعهم، فيجتمع المسلمون في الشارع المؤدي إلى كنيسة القيامة في القدس، بينما يجتمع الصليبيون في الشارع المسقوف، وربما هذا للحفاظ على أسرار تجارتهم من رأس مال وأرباح خاصة بهم[٤].

واستمرت علاقات المسالمة والسلم بين فينة وأخرى بين المعسكرين الصليبي والإسلامي بحكم المصالح التجارية المشتركة ، ولأسباب أمنية أخرى طيلة فترات الغزو الصليبي على بعض الممالك الشامية وبعده، وحتى اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م.وسيطرة الغرب على طرق التجارة الدولية وبداية النهاية للدولة المملوكية على أرض بلاد الشام خاصة.[٥]

١- انظر : ابن منقذ، أسامة بن منقذ(ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .كتاب الاعتبار، نشر فيليب حتى، جامعة برنستون (١٩٣٠م)، ص ٩٩ ،نسيم، جوزيف . العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الإسكندرية (١٩٦٧م) ص ٨٣ .

٢- انظر : براور . عالم الصليبيين، ص ٢٢٠، حيث يرى أن البولان هم أولاد الصليبيين نتيجة زواجهم بأرمنيات وبيزنطيات ومسيحيات شرقيات في بلاد الشام ، جوزيف نسيم . العرب والروم، ص٨٥

٣- ابن جبير . الرحلة ص ٢٨٠

٤- الطحاوي . الصليبيون. ص ١١٥ .

٥- عزب . العلاقات الاقتصادية، ص٨١.

٦/ صور قوانين المناصفات وشروطها :

تعددت المعاهدات التي عقدت بين المسلمين والفرنج خلال مرحلة الحروب الصليبية في بلاد الشام وما حولها، وقد وجدنا في هذه المعاهدات إشارات عابرة إلى نظام الإدارة المشتركة في المناصفة، ويزودنا القلقشندي بعدد من تلك المعاهدات والهدن، ولا سيما ما أبرم منها في العصر المملوكي، وما احتوته هذه المعاهدات من شروط وبنود تحدد أسس التعامل بين الطرفين المتعاقدين[١]،ففي هدنة الظاهر بيبرس وبيت الاسبتار في حصن الأكراد والمرقب سنة ٦٦٥هـ/١٢٢٦م[٢]،حددت بعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وتذكر المعاهدة الأطراف المشاركة وتحدد أماكن نفوذهم والتعريف بهم، ويتعهد الملك الظاهر في هذه المعاهدة بحماية بلاد المناصفات من عسكره ومن هم في ذمة إدارته من ولاته ورجاله، وفُرض هذا على الطرف الآخر واشترط بعدم منع أحد فلاحي بلاد المناصفات من الرجوع إلى بلادهم، ويلتزم بهذا بيت الاسبتار(Hospitallers) [٣]،ويسمح للعربان والتركمان والمسالمين الدخول إلى بلاد المناصفات وحرية الرعي في مناطق المناصفة، ولا يوجد على هذه المراعي المخصصة لرعي الخيول وغيرها " الجشارات" رسوم من الجهتين، وتكون كذلك مصايد السمك مناصفة، وفي القش يخصص للملك الظاهر دون غيره، ويأخذ الاسبتار مقابله خمسين دينارا صوريا سنوياً، وهكذا الطاحون والبستان مناصفة[٤] وقد

١- القلقشندي. صبح الأعشى. ج١٤، ص ٣٢ وما بعدها.

٢- حصن الأكراد من الحصون المنيعة على جبال الجليل المقابلة لمدينة حمص من الغرب بينها وبين حمص مسافة يوم وتؤدي في طريقها إلى بعلبك ...والمرقب بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام قرب بلنياس " ياقوت الحموي . معجم البلدان،ج٢،ص٢٦٤،ج٥،ص١٠٨

٣- " الإسبتارية منظمة دينية عسكرية أنشئت في بيت المقدس في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي " للمزيد انظر : القلقشندي . صبح الأعشى ،ج١٤، ص٣٤-٣٧ ، المطوي . الحروب الصليبية ،ص٩٥-٩٦ .

٤- البقلي . التعريف ،ص٨

يتعهد الملك بعدم الترخيص لعموم التركمان والعرب هؤلاء بالدخول إلى بلاد المناصفات أو الخروج منها، ويخصص لهم مهمة حمل الغلة فقط، وعند زيارتهم بلاد المناصفة عليهم مراجعة نواب الاسبتارية وأخذ الأذن منهم، والاتفاق معهم ،"وعلى أن ألا يدخل أحد من القاطنين في بلاد المناصفات من الفلاحين والعرب والتركمان وغيرهم إلى بلاد الإفرنج والنصارى كافة لإغارة ولا أذية بعلم الملك الظاهر وبلاد معاهديه، ولا يدخل أحد بلاد المسلمين لإغارة أو أذية بعلم الاسبتارية ولا رضاهم ولا إذنهم، ويتقرر كذلك أمن وسلامة فلاحي بيت الاسبتار في بيعهم وشرائهم، وهكذا بخصوص غيرهم من الفئات الأخرى،إن حصل اعتداء من أحدى الطرفين يعطى مهلة خمسة عشر يوما حتى تُرد الشكوى، وعلى المتهم الحلف أو رد الأذية، وتقرر في هذه المعاهدة حماية الصعاليك من أذى المسلمين والفرنج على حد سواء، وإن كانت هذه الحماية مرهونة بعدم إقامة تحصينات خاصة بهم، وتقرر عدم الاعتداء من كلا الطرفين على بلاد الآخر، وعلى نائب الإدارة في كلا الطرفين ضمان حق الطرف الآخر في الرسوم المفروضة على الهاربين إلى منطقته من خلال رهان أو متابعة قضائية تضمن لهم هذا الحق مع ضمان سلامة التجار والمترددين من

كلا الجهتين[1] ،وهكذا بالنسبة لمكافحة أعمال القرصنة لدى الجهتين " وأنهم لا يمكنون لصوص البحر من الزوادة عندهم، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحب هذه البضاعة وتسلم إليه"[2] ،وضمان سلامة المراكب البحرية كان هدفاً لهذه المعاهدات[3] وكذلك التعهد برد الحق

١- انظر : المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٩٩١، ،القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٧-٤٢ ، بيبرس الدوادار، بيبرس بن عبدا لله المنصوري الناصري الدوادار الخطائي(ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة"عصر سلاطين المماليك"تحقيق د. زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، (٢٠٠١م) ج٩، ص٢٢٤.

٢- ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٢١١.

٣- القلقشندي، ج١٤، ص ٥٩، ،علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٦٥.

إلى نصابه من خلال الحلف والأيمان عند كلا الطرفين، وإلا ضمن الطرف الأول العوض للطرف الآخر، وهكذا في القتل " الفارس بالفارس والراجل بالراجل والبركيل ببركيل[1] والتاجر بتاجر والفلاح بفلاح" وإن هرب أحد بمال أعيد المال للطرف الآخر، وخُيّر في المقام أو العودة إلى بلده، وإن هرب عبد على دينه أعيد، وإن اعتنق دينا آخر أعيد ثمنه، وتكون هذه الهدنة ثابتة لا تنقض بموت أحد الطرفين المتعاهدين سواء كان ملكا أم مقدما أو نائبا إلى آخر مدتها.[2]

ويزودنا القلقشندي كذلك بنص هدنة موثقة بين الملك الظاهر بيبرس وصاحبة بيروت الإفرنجية ايزابيلا (Isabelle) سنة ٦٦٧هـ/١٢٢٨م[3] على هذا النسق، حيث تقرر بما نصت عليه مثل هذه الهدنة في مطلع العصر الأيوبي، وتذكر المعاهدات حدود المناصفات ومضافاتها من قلاع وحصون وبلاد ومضافاتها ببرها وبحرها وساكنيها وتجارها، وتحدد السياسة القضائية المراد اتباعها في بلد المناصفة وتاريخ تنفيذ الاتفاق ونهايته هجرياً وميلادياً والأطراف الموقعة بأسمائها، وقد تستثنى بعض القلاع من المناصفة، كقلاع الإسماعيلية[4] وبلاد الدعوة التي جعلت للملك الظاهر بأكملها دون الطرف الآخر، واستثناء بعض رجال الاسبتارية وما يحملونه من مؤونة وكسوة من الرسوم[5]، وقد تكون المناصفات على العموم في الوقت الذي تستثنى بعض المناطق، فتخضع لأحد الطرفين المتعاهدين، كالصلح الذي عقد بين الظاهر بيبرس وصاحب صور الإفرنجي

١- "البركيل هو مرتاد البحار من التجار والمغامرين والتركبولي مولود من أب تركي وأم يونانية" انظر: القلقشندي، ج١٤، ص ٤٠-٤٢.

٢- بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢٤، الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب ١٩٨.

٣- يذكر أن هذه الملكة قد تزوجت كونراد دي مونفيرا " القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص٤٣-٥٠.

٤- ومن هذه القلاع مصياف وهي حصون للجماعة الاسماعيلية الباطنية "الحشاشون" بالساحل الشامي قرب طرابلس" انظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص١٤٤.

٥- صبح الأعشى، ج١٤ ص٤٥-٥٠، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج٩، ص٢٢١

"وحصل الاتفاق على أن يكون لهم من صور عشر قرى خاصة لهم. ويكون للسلطان خمس بلاد يختارها خاصاً وبقية البلاد مناصفة" وحلف الطرفان على ذلك.[1]

ويذكر ابن جبير الرحالة المعاصر لفترة الدراسة فيما يخص المقاسمة في بانياس، أن أعمالها كانت مقاسمة بين الطرفين والغلة مناصفة، ويقول المؤرخ الفرنجي المعاصر وليم الصوري(William) of Tyr) " أن عادة اقتسام السلطة بشكل متناصف بين الفرنج والمسلمين قد سادت لسنوات كثيرة ، وكانت ما تزال تطبق في ذلك الوقت، كما قسمت الضرائب والجزية بشكل متماثل بينهما أيضا" وتكون المواشي مختلطة ولا يحق لطرف الاعتداء على طرف آخر، وعليهم حفظ سلامة الطرف الآخر من اللصوص والمجرمين والمفسدين[2]،وهذا ما نصت عليه كذلك اتفاقية المنصور قلاوون مع الفرنج في عكا سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، حيث يمهد الطرفان للتنسيق في الحوار والتعامل فيما بينهم[3]،ويبدو أن المعاهدات قد نصت على إقامة خانات خاصة في مناطق المناصفة للمسلمين[4]،وفي بلاد المناصفات هذه وفي ظل الحكم المشترك من الطرفين، فقد اتفقوا في الجولان على عدم إقامة حدود فعلية بينهما ونزع السلاح منها وعدم بناء التحصينات، وقسمة العائدات بحيث تأخذ دمشق ثلث العائدات، وللصليبيين الثلث، وثلث آخر من نصيب الفلاحين وامتدت هذه المناطق المناصفة حتى نهر اليرموك جنوبا[5]

١- ابن عبد الظاهر. الروض الزاهر، ص ١٨٩. وقارن ذلك في النويري. نهاية الأرب. ج٣١، ص ٧٦، كان هذا في المناصفة بين المنصور قلاوون وصاحب طرابلس الإفرنجي سنة ٦٨٠هـ/١٢٩٢م.

٢- الرحلة، ص ٢٧٣-٢٧٤ ،وليم الصوري. تاريخ الحروب الصليبية. ج٢، ص ٤٥٨ ،المقريزي. السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٦٤، ،توفيق. الدبلوماسية الإسلامية، ص ٢١٥

٣- القلقشندي. صبح الأعشى.ج ١٤، ص ٤٥-٤٦.

٤- " الخانات أماكن لاقامة الخاصة من الملوك والأمراء وبها أماكن خاصة بالحيوانات المستخدمة في النقل كالجمال" الرحلة، ص ٢٧٧. حيث كثيرا ما يخص المسلمين بحسن الحال في ظل الوضع القائم.،البقلي. التعريف . ١١٥ .

٥- " نهر اليرموك واد بالشام من ناحية الغور يصب في نهر الأردن وكانت به المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم على عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهمابقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ١٥هـ" ياقوت . معجم البلدان. ج٥ . ص٤٣٤ ، براور . عالم الصليبيين، ص٦٥.

وهكذا كانت البقاع بحكم مشترك ومقاسمة ثلاثية كالجولان[1]. ويذكر الشامي أن حصة الفلاح كانت تقسم بينه وبين صاحب الأرض[2]، وهذا ربما يعيدنا إلى استمرار النظام الإقطاعي في بلاد المناصفات، وربما حدث ما يتجاوز تلك القسمة ويخصص من المناصفة معيشة لبعض الأمراء. وهذا ما قرره صلاح الدين في مناصفات أنطاكيا سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م " فكتب لأمير أنطاكيا الصليبي بعشرين ألف دينار"[3]، وقد نصت المعاهدات على قانون التمكيس- الرسوم الجمركية المضافة على أوامر الشرع- إذ كان حصن تبنين بيد أميرة من الفرنج، وقد جارت على الناس الغرباء في الرسوم المدفوعة، ففرض على الشخص من التجار المغاربة دينار صوري وقيراط ، ويبدو أن قانون المناصفات قد أعفى أهل المنطقة من هذه الرسوم، وهذا ما دعا ابن جبير- كما أسلفنا- للحكم بأنهم على أحسن حال وقت زيارته لهذه المنطقة.[4] وينص قانون المناصفة على حرية انتقال الفلاحين وترحالهم مع التزامهم بالعودة إلى أماكن سكنهم وإقامتهم بأمن وسلامة، وخاصة في إطار الحدود الجغرافية لأقاليم المناصفة[5] ويشترط في عقد المناصفة إعادة الأسرى من كلا الطرفين، ويتولى تقرير الهدنة كبار رجال الدولة، ويشترط على هؤلاء الرجال عقد الأيمان بالحلف والتوقيع للتوثيق، فيذكر في الهدنة مع الفرنج وبين الاسبتار سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م بوصول مندوب السلطان المملوكي إلى الروجا إحدى قرى حلب[6] وقدم رسل الفرنج وتقررت الهدنة الظاهرية

١- جوني. دمشق والمملكة اللاتينية، ص١٠٤.

٢- الشامي. تاريخ العلاقات، ص ٢٠٢.

٣- "انطاكيا قصبة عواصم الثغور الإسلامية .كثيرة الخيرات ومنها إلى حلب يوم وليلة عامرة فيما بينها وقراها متصلة " ابن شداد.النوادر السلطانية، ص ٦١٦-٦١٨، ياقوت الحموي . ج١، ص٢٦٦وما بعدها.

٤- ابن جبير. الرحلة، ص ٢٧٧.

٥- القلقشندي. صبح الأعشى، ج١٤، ص٣١-٤٠.

٦- "الروجا أو الروج كورة من كور حلب تقع غربها وتتوسط ما بين المعرة وهذه المدينة "ياقوت .ج٣،ص٧٦

على مناصفة الربض وبلنياس[1]، وحلف السلطان وبعث الأمير فخر الدين إياز المقري – الأمير الحاجب – لتنفيذ تعليماته وحلف مقدم الاسبتار نيقولا لو لورنيه (Frere Nicholas Le Lorgne) [2] وإذا ما خالف طرف نصوص الاتفاق، وخاصة في بناء التحصينات من قلاع وبروج وحصون، اعترض الطرف الآخر، ونقض تبريرات الطرف الأول[3]. وإذا هرب شخص وتنصر بإرادته يرد ما بحوزته ويبقى "عريانا" ويعطى الأمان، وإذا ما أراد شخص الدخول في الإسلام، يرد ما بحوزته ويبقى "عريانا"، وإذا لم يسلم يرد هو بنفسه إلى حاكمه[4]، ولا يفوتنا شرط الأيمان المغلظة بالحلف من كلا الطرفين على هذه الهدنة المعقودة بأطرافها وحدودها ومدتها[5] ولا يقرر الملك الجلسة بنفسه، فيسمي أحد الملوك مقررا للجلسة[6] ويوقع الاتفاقية عدد من الشهود، وربما يسلم الطرفان رهائن لبعضهما لضمان التزامهم بالشروط المدونة في الاتفاقية[7] وتوثق الاتفاقية فيذكر اسم كاتب نص اتفاق المناصفة[8].

١- "الربض هو أساس المدينة والبناء أو ما يحيط بهما والربض كورة في سواحل حمص .. وبلنياس مدينة صغيرة على البحر في سواحل حمص" ياقوت .ج١،ص٤٨٩،ج٣، ص٢٥ .

٢- بيبرس الدوادار . زبدة الفكرة جزء ٩ . ص ١٩٧ – ١٩٨ .

٣- انظر: بيبرس الدوادار .المصدر نفسه ،ج٩،ص١٩٤– ١٩٥ ،القلقشندي . ج١٤،ص٥٦ ؛ المقريزي . ج١،ق١ ،ص٩٩٠،٩٦٥

٤- " عريانا دلالة على انتزاع ممتلكاته السابق لاتباعه دينا جديدا" ابن الفرات، ناصر الدين، محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧ هـ/١٤٠٥م) تاريخ الدول والملوك "الكامل" حرر نصه ونشره د. حسن محمدا لشماع، جامعة البصرة، م٤، ج١ (١٩٦٧م)، م٤، ج٢ (١٩٦٩م)، م ٥،ج١(١٢٩٠هـ–١٩٨٠م)، م ٤، ص ١٨٨ ومابعدها ،المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٩٠.

٥- ابن الفرات، تاريخ، ج٤، ص ١٨٨،١٩٥،أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٠٣ حيث يذكر أن الملوك لم يشملهم الحلف ،المقريزي، السلوك،ج١، ق ٣، ص ٩٩٥–٩٩٦.

٦- ابن النظيف الحموي،التاريخ المنصوري، ص ٩٢.

٧- الحايك، العلاقات الدولية، ص ٤٠ .

٨- ابن النظيف الحموي، المصدر السابق ص٢٦١.

ويورد لنا في ابن شداد نص الإتفاق بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد (Richard the Lionheart) ، حيث حلف الطرفان يوم الأربعاء بعد أن أكل الطرف الفرنجي شيئا يوم الثلاثاء، وليس من عادتهم الحلف بعد الأكل – ربما لأهمية معنى المشاركة في مائدة واحدة – وكان هذا في الثاني والعشرين من شعبان، وحلف الكونت هنري le (Comte Henri) خليفة الملك في الساحل وباليان ديبلان أو بيرزان(Balian II d Ibelin) ابن صاحب طبرية ، ورضي الاسبتار والداوية الهيكليين(Templiers)[1] ومقدمي الإفرنج بذلك، وأكرمهم السلطان. ثم حضر جماعة السلطان يوم الخميس وعاهدوه على الصلح على القاعدة المتفق عليها وحلف الملك العادل والملك الأفضل والملك الظاهر، وعلي بن المشطوب وبدر الدين دلدرم والملك المنصور وكل مجاور لبلادهم كابن المقدم– صاحب شيزر– وحلف صاحب أنطاكيا وطرابلس، وأمر بالمناداة في الطرفين .. " وعم بين الناس من الطرفين الفرح والسرور، ويبدو أن صلاح الدين لم يكن راضيا عن هذا الصلح ولكنه خاف على البلاد بعد موته من الضياع ورأى الصلح لسآمة العسكر وضجرهم من القتال ومظاهرتهم بالمخالفة،[2] وربما تنازل أحد الطرفين للطرف الآخر عن حقه وحصته في بلاد المناصفات هذه، وهذا ما ذكر في أحداث سنة ٦١٨هـ/١٢١٠م ويعتبر هذا التنازل فتحا على الطرف الآخر[3] .

وأخذ بالاعتبار الإختلاف العقائدي لكلا الطرفين ، فطبق في بلاد المناصفات القانون حسب ديانة الشخص ومعتقده ، فتطبق الشريعة الإسلامية إن كان الشخص مسلما ، ويطبق القانون الإفرنجي إن كان الشخص إفرنجيا ، وهذا ما نصت عليه اتفاقية

١– الداوية فرسان الهيكل وهي جمعية عسكرية رهبانية تأسست عام ١١١٨م اشتهر أعضاؤها أيام الحروب الصليبية وحلها الملك فيليب الرابع ملك فرنسا سنة ١٣١٢م " . النوادر السلطانية، ص ٢٣٤– ٢٣٥.

٢–" المصدر نفسه

٣– ابن النظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص ٩٢.

عقدت بين الظاهر بيبرس والاسبتارية : " على أن يكون أمر فلاحي بلاد المناصفات في الحبس والإطلاق والجباية راجعا إلى نائب مولانا السلطان باتفاق من نائب الاسبتار على أن يحكم فيه بشريعة الإسلام إن كان مسلما وإن كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الأكراد"[1]، وإذا عقد مجلس القضاء يحضر شاهد من الطرف الآخر[2] وإذا وقعت دعوى وقف أمرها أربعين يوما وإن لم تظهر يحلف نفر يختارهم صاحب الدعوى، وإن امتنع المدعى عليه من الحلف حلف المدعي[3] وإن دخل شخص إلى بلاد المناصفات وعليه رسوم وضرائب وامتنع عن أدائها، فإن نائب بلده يأخذ منه رهناً بمقدار ما عليه، ولا يجوز لنائب من هؤلاء يمثل أحد الطرفين أن يحمي ويتواطأ في حق الطرف الآخر[4].

أما المراعي التي يدخل إليها الفلاحون والتركمان والبدو والأكراد، فعليهم الرسوم والضرائب وتقسم هذه مناصفة، عدا خيول السلطان وخيول عساكر الإفرنج فإنها معفاة من الضرائب، وطبق مثل هذا الأمر في بلاد المناصفات وغيرها[5] وبالنسبة لفلاحي المناصفات يحظر أخذهم بالسخرة، وإذا هجروا أرضهم في ظروف طارئة جاز لهم العودة إليها[6] ولهم حرية التنقل بين بلاد المعسكرين الإسلامي والصليبي لتسويق منتجاتهم وشراء ما يلزمهم من حاجات ضرورية لمعيشتهم[7] وضمنت هذه المعاهدات للتاجر أثناء وجوده في بلاد المناصفات التأمين على ماله وممتلكاته، بحيث

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٢، علي السيد، العلاقات الاقتصادية، ص ٤٦، علي الغمراوي، ص ١٧٣.

٢- القلقشندي، ج١٤، ص٤٦.

٣- نفسه، ج١٤، ص ٣٢٧-٣٨.

٤- القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٦-٤٥، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج٩، ص ١٩٢-١٩٤.

٥- انظر: القلقشندي، ص ٣٢-٣٣، علي الغمرواي، أضواء جديدة، مجلة الدارة، ع١، ١٤١٢هـ ص ١٧٥-١٧٦.

٦- انظر: القلقشندي، ص ٣٣، علي الغمرواي، ص١٧٧.

٧- القلقشندي، ج١٤ ص ٣٣.

يتم تسليم تركته إلى كافل مملكته، إذا ما تعرض لحدث ما[1]،ولضمان استمرار الحركة التجارية في بلاد المناصفات وتشجيعها أقر قانون المناصفة الإبقاء على الرسوم الجمركية "المكوس" دون زيادة[2]،وحرص هذا القانون على حصر المتاجرة في بعض السلع الممنوعة[3]،وتدون هذه المعاهدة نصوص الاتفاق بين الإفرنج والمسلمين بلغتين العربية أولا واللاتينية ثانيا، ويوقع كل طرف على النسخة المترجمة بلغته، ويسلمها للطرف الآخر ليودعها في ديوان المراسلات إثباتا على التزامه والتزام الطرف الآخر[4].

ونود الإشارة هنا إلى أن المعاملات التجارية التبادلية، وإن كانت هناك مقايضة على الأغلب[5] فقد تم تداول النقد الذي يسهل عملية التبادل، ومنها نقود ذهبية وفضية عالية القيمة، وهناك نقود برونزية ونحاسية ومنها الدراهم الأيوبية[6]واستخدم الدينار الناصري- نسبة إلى الناصر صلاح الدين- بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م [7] ومنها الدينار الصوري الذي شاع استعماله في المعاملات التجارية بين الطرفين

المسلم والصليبي[8] ثم انتشرت في أسواق المناصفات نقود إيطالية منسوبة إلى مدنها أهمها الدوكات الذهبية والبندقية[9]،والبيزانت Byzant الذهبي البيزنطي وغيرها من

١- المقريزي، السلوك، ج١، ق٢، ص ٩٩٣.

٢- نفسه،ص٩٩٣ .

٣- نفسه، ص ٩٩٠.

٤- الحايك، العلاقات الدولية، ص٤١-٤٢ حيث وجد في ديوان الرسائل مترجمون للغات عدة، وتم ضبط الترجمة لمنع التلاعب بألفاظها، وذكر اسم المترجم وتاريخ ترجمته وشهد بشاهدين على ذلك.

٥- الطحاوي، الصليبيون، مجلة الاجتهاد، ع ٣٣، ١٩٩٦م، ص ١١٧.

٦- أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٤٧؛الطحاوي، ص ١١٨.

٧- أبو شامة، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، بيروت، دار الجيل، ط٢ (١٩٧٤م)، ص ١٧٨ ؛سمير شما، النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين، بيروت، دار أطلس (١٩٨٠م)، ص ٥٧.

٨- الحايك، ص ٨٧ ؛سعيد عبدالفتاح عاشور، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان (١٩٧٤م) ص ٢٢٧.

٩- عزب، العلاقات الاقتصادية، مجلة الاجتهاد، ع٣٣، ص٨١.

النقود الإسلامية والصليبية التي قلدت بعضها في بعض مظاهرها[1]،ونود الإشارة هنا إلى قيمة هذه العملات وموازينها، والتي كانت عرضة للإختلاف في هذه القيمة وذلك الوزن تبعا لنسبة المعدن الرخيص مخلوطا بالمعدن الثمين، فالدينار مثلا هو وحدة وزن تساوي مثقالا واحدا والسبيكة الذهبية منه تساوي ٤,٣٣ – ٤,٢٥ غم[2]،ويذكر لنا فتحي النبراوي في دراسته للعملة الإسلامية أن الدينار الناصري هو الدينار الذهبي الوحيد الذي سكه صلاح الدين بعد انتصاره على الصليبيين وتحرير القدس سنة ٥٨٣ه /١١٨٧م ،حيث قل الذهب في الدولة الأيوبية بعد وراثتها للدولة الفاطمية المثقلة بالأحداث، ويتكون هذا الدينار من ثالث دوائر متوازية مع الصعوبة في تحديد وزنه[3]،أما الدراهم الأيوبية الفضية الرديئة والتي وصل نسبة النحاس بها إلى النصف، فكانت قيمتها الاسمية تفوق قيمتها المعدنية وتتكون من مربعين متوازيين[4].

* * *

١– الطحاوي. ص ١١٩ ،سعيد عاشور. الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٩.

٢– فالتر هنتس .المكاييل والموازين الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري.ترجمه عن الألمانية كامل العسلي عمان ،الأردن ،الجامعة الأردنية(٢٠٠١م) ص٢٩.

٣–.النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري. مكتبة زهراء الشرق.القاهرة (٢٠٠٠م)، ص٨٦

٦- المرجع نفسه. ص٩٦

٧/ إدارة المناصفات وموظفوها:

وإن غلبت الوراثة في إدارة ممالك بلاد الشام خلال مرحلة الحروب الصليبية في العهدين الزنكي والأيوبي على وجه الخصوص[١]،فلم تسعفنا المصادر في معرفة من تولى في إدارة المناصفات . وتقل الإشارات التي تفيدنا في رسم صورة متكاملة لمؤسستين إداريتين في أي بلد تقرر في إدارته نظام المناصفة المشتركة بين الطرفين، هذه المناصفة والمقاسمة التي اختلفت كذلك في شكلها وسياستها الاقتصادية من منطقة لأخرى، حسب ما يقتضيه الحال من جهة والظروف الطارئة على إدارة دويلات بلاد الشام من جهة أخرى. فقد تكون المناصفة على كل شيء في قرية ما، من بساتين ومصايد وملاحات ومحاصيل وطواحين وثروة حيوانية وغيرها، حتى الرحى يناصف عليها، وهذا يحتاج إلى إدارة مالية دقيقة في حساباتها[٢]وربما شملت المناصفة بعض المدن والموانئ كذلك.[٣]

وإدارة المناصفة هي إدارة إسلامية إفرنجية مشتركة، يتولى كل منها نائب قد يسميه البعض مقدما، [٤]يمثل هذا النائب سلطانه في كل صغيرة وكبيرة يقوم بها، ويتفق النائبان على تفاصيل هذه الإدارة المشتركة، ولا ينفرد أحدهما بقرار دون الآخر. وللنائب بالتوافق مهام الحبس والشنق والقطع والإطلاق، والجباية على الأرض والمصايد والطواحين وفق قانون المناصفة الذي يراعي ديانة الشخص المتهم ومعتقده[٥]،ومن

١- للباحث دراسات منشورة في هذا السياق. أنظر: خالد سليمان الشريدة. الإدارة الزنكية العامة في بلاد الشام. مجلة كلية التربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس. القاهرة. ع١٤، ج٢. (٢٠٠٨م).
،الشريدة. إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي. أشير إليه في الهامش سابقا.

٢- القلقشندي. صبح الأعشى، ج١٤، ص ٣٧-٣٨ ،علي السيد. العلاقات الاقتصادية، ص ٤٤-٤٩.

٣- المقريزي. السلوك، ج١، ق٣، ص ٩٧٦-٩٨٧ ، القلقشندي.ج١٤، ص٤١.

٤- ابن شداد. النوادر السلطانية. ص ٢٠٦.

٥- المقريزي. ص ٩٨٩ ،القلقشندي ج١٤، ص ٢٣،٣٦،٤٦،٥١= Beehoolles (H). Historia diplomatical Fridrici Tom ٣ , Paris, ١٨٥٢-١٨٦١m p.٧٠ .

المؤكد أن هذا النائب يوكل إلى غلمانه وموظفيه القيام بمثل هذه المهام من عمارة وتنظيم في بلد المناصفات وتعداد القادمين إلى بلده وفرض الرسوم عليهم، ثم إقرار قسمتها مناصفة بكمها وتفاصيلها،[1] ويذكر أن هذا النائب وانطلاقا من الوظائف الموكلة إليه عند الإفرنج، فقد سمي "أفرير اولدكال أي الأخ(Frere Odokal) أو الأفرير بمعنى الأخ لفرسان الداوية أو الاسبتارية[2] ويبدو أن هذا النائب كما ذكرنا لا يقطع أمراً دون استشارة ملكه وسلطانه[3]وسواء كان هذا النائب أو كفيل المملكة مثل السنجال أود "الفيكونت (Viscount) [4] اشترط عليه أن لا يخفي شيئا من المقاسمات، ولا بد من اطلاع الطرف الآخر على كل تفاصيلها، ويقوم هؤلاء النواب بحماية البلد من المفسدين واللصوص وتوفير الأمن من خلال رجال يرافقون المراكب التجارية القادمة إلى بلد المناصفات[5]،ويتبع لكل نائب جهاز إداري متكامل يضم عددا من الموظفين باختصاصات مختلفة متباينة منعا لانتشار الظلم والفساد على سكان بلاد المناصفة؛ بعضهم يختص بجمع الرسوم والضرائب، وبعضهم يختص بتنفيذ الأحكام "القضاة"

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٤٢، ٣٥.

٢- " تجمع الاسبتارية أخوة مثلما تجمع فرسان الداوية Knighis Templar هذه الأخوة وكلا التنظيمين فكرة رهبانية دينية عسكرية "القلقشندي ،ج١٤، ص ٤٩، البقلي ، التعريف ، ص١٨-١٩.

٣- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٣٢.

٤- " الفيكونت Viscount هو الذي يحصل الضرائب ويودعها في الخزينة فهو الوكيل المالي لمملكته ويرأس المحكمة الصليبيةوهو نائب اللورد ومنصبه وراثيا في بعض الأحيان وقد يكون من صفوف النبلاء ويتم اختياره من الفرسان أو السادة الإقطاعيين التابعين للملك ومن مهامه تحقيق عدالة القانون " انظر: الشامي، تاريخ العلاقات، ص ١٩٩، ٢٠١. البشاوي ،سعيد عبدالله جبريل ، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١٢٩١م /٤٩٢-٥٩٠ه ،تقديم د. محمود سعيد عمران ،دار المعرفة الجامعية ،الاسكندرية (١٤١٠ه / ١٩٩٠م] ص٩٦ .

٥- انظر: ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص ٣٤ ،المقريزي، السلوك، ج١، ق٣، ص٩٩٣ ، والقلقشندي، صبح الأعشى، ج١٤، ص ٥٦.

حتى وصل عددهم -برأي البعض- ستة عشر موظفا وهم المشد[1] وغلامه ،والشاهد وغلامه والكاتب وغلامه وعشرة أنفار من الرجال في خدمة المشد[2] وربما كان هذا حكرا للمسلمين على الطرف الآخر، ثم هناك الشاهد والكاتب ولكل من هؤلاء بيوت يسكنون بها[3]،ووجد من يتولى إدارة الأسواق وعلى رأسهم "الفيكونت(Viscount) ويساعده المحتسب وبرفقته مجموعة من رجال الأمن، هذا الترتيب الإداري الذي أخذ به الفرنج عن المسلمين منذ احتلالهم القدس سنة ٤٩٠هـ/ ١١٩٩م. ووجد لهذا المحتسب محكمة خاصة مهمتها النظر في كل ما يخص سوق المدينة[4]،ووجد وكلاء "الريس" كبديل للسيد الإقطاعي، ينوب عنه في التعامل مع الفلاحين ويساعده الكاتب، ووجد ما يعرف بالترجمان الذي طالما احتاج إليه ديوان المناصفة للترجمة في اللغات المستخدمة بين الطرفين[5]،وكان للمشد السابق الذكر مهام كثيرة يقوم بها ومنها أمر المراعي وماشيتها ودوابها، وله تقدير أمر مصايد الأسماك ويشرف على قسمة واردها بين الطرفين، وهنا لنا أن نتصور فلسفة المقاسمة على الأملاك العامة "الأميرية" بالمناصفة والمثالثة في الشؤون الاقتصادية الخاصة. وتتوسع صلاحيات المشد ليشرف على كل واردات بلاد المناصفة لكلا الإدارتين الإسلامية والإفرنجية[6].وأما الكاتب فوظيفته كتابة الصكوك وتدوين المعاملات من ضرائب ورسوم وتحديد مقدارها في بلد المناصفة، ويشهد شاهد على كتاباته هذه[7] وربما هؤلاء جميعا ممن ورد ذكرهم هم ما أصطلح

١- "المشد: شد الدواوين. أي فتشها وضبط حساباتها وهو كالناظر" انظر: البقلي. التعريف. ص ١٩٣.

٢- بيبرس الدوادار. زبدة الفكرة. ج٩، ص ٢٢٣. ،النويري. نهاية الأرب. ج ٢٩، ص ٢٧٨ وما بعدها.

٣- القلقشندي. صبح الأعشى. ج١٤، ص ٤٦،٤٥. ،المقريزي. السلوك. ج١، ق٣، ص ٩٧٦ ،ابن عبد الظاهر.تشريف الأيام. ص٢١٠-٢١١.

٤- القلقشندي. ج١٠،ص٤٦١-٤٦٢ ،الطحاوي . الصليبيون. مجلة الاجتهاد، ع٣٣، ص١١٨.

٥- الطحاوي. ص١٢٢.

٦- بيبرس الدوادار. زبدة الفكرة. ج٩، ص ١٩٤.

٧- ابن النظيف الحموي. التاريخ المنصوري، ص٢٦١ ،علي السيد. العلاقات الاقتصادية. ص ٤٦.

عليهم برؤساء بلد المناصفات، ولهم مهمة الحفاظ على الرهان المقبوضة من القادمين إلى مناطق المناصفة[1].

ويبدو من خلال نصوص المعاهدات المتوفرة أنه قد توفر لكل هؤلاء الموظفين قوات أمنية تحافظ على سلامتهم وأمنهم[2] بالإضافة إلى القوات الأمنية الرئيسة التي تتبع لكل نيابة، لصيانة الأمن وحراسة الطوائف القاطنة في حدود بلاد المناصفات[3] ويتبع كل هؤلاء إلى ديوان خاص بكل نيابة[4].

أما في القرى والأرياف والتي كانت في أغلب سكانها من المسلمين، فاستمر القضاة والعلماء يباشرون خدماتهم، ولا سيما أمور الزواج والميراث، واعترف الصليبيون بالسلطة التقليدية للقرية[5] فأوجد الإفرنج رئيس مسلم ينظر في أمر القرية، وفي حال عدم وجود وكيل خراج للإشراف على دخل القرية كان الرئيس يقوم بهذه المهمة، وينوب عن الإفرنج في الإدارة، وكانت حالته الاقتصادية جيدة بحريته في التصرف، ويشرف على مسجد القرية ويعين له خطيبا، وحرص الإفرنج على ولاء أهل القرية، وخاصة في طاعة الأوامر الإفرنجية ودفع ما عليهم من رسوم وضرائب[6].

واختصت بعض بلاد المناصفات بما يسمى "محكمة الريس" التي تضم محلفين، أربعة من السريان أو نصارى الشرق واثنين من الفرنج، ويرأس المحكمة قاض، وتختص هذه المحكمة في القضايا العادية، ولم يكن لهذه المحكمة قوانين مدونة، إذ كانت

١- القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٠.

٢- نفسه، ص ٤٥-٤٦.

٣- نفسه، ص ٣٩.

٤- نفسه، ص ٤٨.

٥- ابن جبير، الرحلة، ص، ٢٧٥. ،براور، عالم الصليبيين، ص ٩٨-٩٩.

٦- ابن جبير، المصدر نفسه، ص ٣٠٢. ،ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٦. ،صالح بن يحيى بن الحسين أمير العرب (ت ق ٩ هـ/١٥م)، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق لويس شيخو، بيروت، (١٨٩٨م)، ص ٣٩ ،الحايك، العلاقات الاقتصادية، ص ٨٤.

تعتمد على الأعراف والتقاليد والثقافة القانونية السائدة في مجتمع بلد المناصفات خاصة وبلاد الشام عامة [1].

مما سبق نستنتج أن مهمة كل أولئك الموظفين، ومبدأ عملهم كان عدم حصول أذى بحق الطرف الآخر والإنصاف في حقه بالمقاسمة، ومنع انتشار الفساد في بلد المناصفة والتدقيق في حساباتها[2]ويتفق الطرفان المسلم والصليبي على كل صغيرة وكبيرة في إدارة بلاد المناصفة، ومن خلال أولئك الأتباع والموظفين يتم جمع الضرائب وفض المنازعات بين الناس والحفاظ على أمن وسلامة المقيمين والقادمين إلى أرض المناصفات[3]وربما يسيرهؤلاء الموظفون جنباً إلى جنب في عمل الحسابات اللازمة لمردود المناصفات وقسمتها بين الطرفين بعد اقتطاع الجزء الخاص بفلاح بلد المناصفة وتاجره وصانعه[4].

ويرى بعض المؤرخين الغربيين أن المشكلة الإدارية لدى الفرنج في بلاد المناصفات كانت في جمع الضرائب من المزارعين المسلمين، وكذلك جمع الضرائب من الفرنج في المقاطعات التابعة للإدارة الإسلامية[5]وهذا في اعتقادي مبالغ فيه وخاصة أن حصاد الأرض وجمع غلالها كان يتم في مكان واحد ووقت محدد، ويترك ثلثها لفلاح الأرض، ويتم قسمة الثلثين بين الطرفين المتعاقدين[6]

* * *

١- أرنست باركر .الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت (١٩٦٧م)، ص ٦٤. ،الشامي. تاريخ العلاقات، ص٢٠١.

٢- النويري. نهاية الأرب، ج٣١، ص ٧٦،٧٧.

٣- القلقشندي. صبح الأعشى، ج ١٤، ص ٤٥-٤٦. ،الشريدة. إدارة بلاد الشام، ص ٩٣.

٤- القلقشندي. ج١٤ ص ٣٤.

٥- الصوري. الحروب الصيبية، ج٢، ص ٩٧٥. ،سميل.الحروب الصليبية، ص ١٠٨.

٦- انظر: ابن القلانسي. الذيل، ص ٢٦٤-١٧٣،جوني. دمشق والمملكة اللاتينية، ص ١٧٢.

خاتمة البحث :

هذه الدراسة أثارت عندنا تساؤلاً بامكانية نقل صورها إلى حاضرنا من أجل مستقبل أفضل للبشرية جمعاء، وأفادتنا بالنقد والتمحيص من خلال ما توصلت له حيث إن :

- الكتابات التاريخية أوحت بغلبة الطابع العسكري القتالي على العلاقات الإسلامية الصليبية في العصور الوسطى حتى ظن البعض أنه لا وجه آخر لهذه العلاقة .
- الإدارة المشتركة "المناصفة "بين المسلمين والصليبيين في بعض المناطق الحدودية بدأت منذ بواكير الغزو الصليبي للمنطقة سنة ٤٩٠هـ/١١٨٧م .
- المناصفات الحدودية دليل على تفاهم وحوار عند إلتقاء المصالح بين الطرفين الإسلامي والصليبي .
- القيادة الإسلامية والصليبية أدركت الأثر السلبي الكبيرللجانب القتالي على حياة مجتمعاتها.
- المناطق الحدودية المتناصف عليها كانت أكثر تطورا وازدهارا وانسجاما عن غيرها من مناطق الاحتلال الصليبي في بلاد الشام .
- الشعوب أكثر تفهما للأوضاع المستجدة والحياة الجديدة في المناطق المتناصف عليها . ولا سيما إذا وجدت عند قيادتها ميلا للسلم وقبولا للآخر .
- الإدارة المشتركة في المناصفات أوجدت حوارا حضاريا وعقائديا بين الأطراف المتنازعة وجعلتهم أكثر احتكاكا وتفهما للواقع وأقرب انسجاما عن الاتجاه القتالي في هذه العلاقة .
- لم تكن المناصفة بين الطرفين لأهداف اقتصادية فحسب إذ انعكست آثارها على العلاقات التجارية بين الطرفين ، بل حققت أهدافا سياسية واجتماعية متنوعة .
- ممالك بلاد الشام كانت أكثر خصوصية بهذا النظام من المناصفة عن غيرها ، وكانت ولا زالت تتعرض لأطماع خارجية وغزوات متتالية .

- وأخيرا أن مسألة المناصفة التي تناولها البحث لم تأت من خلال مواثيق منفصلة بين الطرفين الإسلام والصليبي وإنما تعرضت لها اتفاقيات الهدن والمصالحة بينهما.

* * *

قائمة المصادر :

- ابن الأثير. عز الدين أبو الحسن على بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م). أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق وتعليق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ،دار الشعب ، مصر (١٩٧٠م)
- ابن الأثير .الكامل في التاريخ، ١٢ج، تحقيق أبي الفداء عبدالرحمن القاشي. بيروت، دار الكتب العلمية(١٩٨٧م)
- البغدادي . صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩٩هـ/١٢٤١م) . مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاه– القاهرة ، ط١ (١٩٥٤م)
- بيبرس الدوادار. بيبرس بن عبدا لله المنصوري الناصري الدوادار الخطائي(ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م). زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة"عصر سلاطين المماليك"تحقيق د. زبيدة محمد عطا. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. (٢٠٠١م)
- ابن جبير. أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٨ م) . الرحلة. تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار. ليدن. مطبعة بريل. ط٢ (١٩٠٧ م)
- ابن حجر العسقلاني .أحمد بن علي (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)الاصابة في تمييز الصحابة .القاهرة ، مصر.دار نهضة مصر (١٩٧٢م) .
- الحميري. محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) . الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس. مكتبة لبنان . بيروت . ط٢ (١٩٨٤م)
- الدمشقي. جعفر بن علي (ت ق٦هـ١٢م) . الإشارة إلى محاسن التجارة. تحقيق البشري الشوربجي. الإسكندرية. (١٩٧٧م)
- أبو شامة. شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م). تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين. بيروت. دار الجيل. ط٢ (١٩٧٤م)

- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ٢ج، دار الجيل، بيروت (د.ت)، ج١، تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة (١٩٥٦-١٩٦٢م)
- ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة (١٩٦٤م)
- صالح بن يحيى بن الحسين أمير العرب (ت ق ٩ هـ/١٥م)، تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق لويس شيخو، بيروت، (١٨٩٨م)
- الصوري، وليم (William of Tyre) (ت ١١٨٥م / ٥٨١ هـ) تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة في ما وراء البحار، ٢ ج، ترجمة د. سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ط١ (١٩٩٠)م
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)، تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٠ ج، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف (١٩٧٩م)
- ابن عبد الظاهر، محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة (١٩٦١م
- ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبدالعزيز الخويطر، الرياض، ط١ (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م)
- ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ٣ج عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه سامي الدهان، جـ٢، دمشق، (١٩٥٤م)، جـ٣ (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)
- ابن الفرات، ناصر الدين، محمد بن عبد الرحيم (ت٨٠٧ هـ/١٤٠٥م) تاريخ الدول والملوك "الكامل" حرر نصه ونشره د. حسن محمدا لشماع، جامعة البصرة، م٤، ج١ (١٩٦٧م)، م٤، ج٢ (١٩٦٩م)، م د.ج١(١٣٩٠هـ-١٩٨٠م)
- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، مسالك الأبصار "دولة المماليك الأولى" دراسة وتحقيق دوتيا كرافولكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت ط١ (١٩٨٦م)

- فوشية الشارتري (Foucher de Charters)(ت ق٦هـ/١٢م). تاريخ الحملة على بيت المقدس، ترجمة د. زياد العلي، دار الشروق، عمان ط١ (١٩٩٠م)
- فوشيه الشارتري . الوجود الصليبي في الشرق العربي. الاستيطان الصليبي في فلسطين. تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (١١٢٧ – ١٠٩٥) ذات السلاسل، الكويت (١٩٩٣م)
- ابن قاضي شهبة، محمد بن أبي بكر (ت ٨٧٤هـ /١٤٧٠م). الكواكب الدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زايد، دار الكتاب الجديد بيروت (١٩٧١م)
- ابن القلانسي، أبو بكر حمزة بن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) تاريخ أبي يعلى المعروف بذيل تاريخ دمشق، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت (١٩٠٨م)
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) . صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤جـ شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٩٨٧م)
- المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ /١٤٤١ م) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢ ج، صححه ووضح حواشيه محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٩٥٧م)
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م) . معجم لسان العرب، ١٥جـ دار صادر، بيروت.
- ابن منقذ، أسامة (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) .كتاب الاعتبار، نشر فيليب حتى، جامعة برنستون (١٩٣٠م)
- ابن النظيف الحموي .أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت منتصف القرن ٧هـ/١٣م). التاريخ المنصوري .تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان .عني بنشره وتحقيقه د.أبو العيد دودو مراجعة د. عدنان درويش .مطبوعات مجمع اللغة العربية .مطبعة الحجاز .دمشق (١٤٠١هـ/١٩٨١م)
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣١ج، تحقيق سعيد عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة وفؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) .مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، جـ١، تحقيق جمال الدين الشيال، مطبوعات دار إحياء التراث القديم، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة (١٩٥٣م)، و جـ٢ (١٩٥٧م) و جـ٣ نشر دار القلم، القاهرة (١٩٦٠م) وجـ ٤ تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة سيد عبدالفتاح عاشور، جامعة القاهرة [١٩٧٠م)، جـ٥، مركز تحقيق التراث، القاهرة (١٩٧٥م)
- الواقدي، أبي عبدالله محمد بن عمر (ت ٢١٩ هـ /٨٢٣ م) فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، لبنان (١٩٧٠م)
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت ٧٢٦هـ/ ١٢٢٨م) . معجم البلدان، ٥ جـ دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٧٩م)

* * *

قائمة المراجع :

- إبراهيم بن حمود المشيقح. المهادنات بين معاوية بن أبي سفيان والبيزنطينيين في القرن الأول الهجري / القرن السابع الميلادي. مجلة التاريخ العربي. جمعية المؤرخين المغاربة. ع١٠، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ص ١٣١– ١٤٩.
- أحمد حطيط. المدلول التاريخي لنصوص الهدن المعقودة بين المماليك والفرنج. هدنة عكا (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م) نموذجا. مجلة تاريخ العرب والعالم .عمان. س ١٩، ع ١٧٩، أيار – حزيران ١٩٩٩م / محرم – صفر ١٤٢٠هـ
- أرنست باركر .الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني. بيروت (١٩٦٧م).
- براور. يوشع . عالم الصليبيين. ترجمة وتقديم وتعقيب قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن. دار المعارف. القاهرة . ط١ (١٩٨١م)
- البقلي. محمد قنديل . التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة (١٩٨٣م)
- البشاوي .سعيد عبدالله جبريل . الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩– ١٢٩١م /٤٩٢– ٦٩٠هـ .تقديم د. محمود سعيد عمران .دار المعرفة الجامعية .الاسكندرية (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)
- توفيق. عمر كمال . الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين. الاسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. (١٩٨٦م)
- جوني. وفاء . دمشق والمملكة اللاتينية في القدس منذ أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلاديين ٤٩٢– ٥٦٩ هـ / ١٠٩٨– ١١٧٤ م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)
- الحايك. منذر . العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية. ٢ ج. تقديم د. سهيل زكار. دار الأوائل دمشق (٢٠٠٦ م)
- الحياري. مصطفى . صلاح الدين القائد وعصره. دار الغرب الاسلامي . بيروت. ط ١(١٤١٥هـ– ١٩٩٤م)

- الحياري، مصطفى . القدس في زمن الفاطميين والفرنجة. المعهد الملكي للدراسات الدينية، عمان. نشر مكتبة عمان (١٩٩٤م)
- الخادم، سمير علي . الشرق الإسلامي والغرب المسيحي. نشر مؤسسة الريحاني. بيروت (١٩٨٩م)
- رنسيمان، ستيفن . تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني. بيروت. (١٩٦٩م)
- سعيد عبدالفتاح عاشور. المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية. المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية. عمان (١٩٧٤م)
- سمير شما. النقود الإسلامية التي ضربت في فلسطين. بيروت. دار أطلس (١٩٨٠م)
- سميل، ر. سي . الحروب الصليبية. ترجمة سامي هاشم. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط١ (١٩٨٢م)
- الشامي، أحمد . تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ (١٩٨٥م)
- الشريدة، خالد سليمان .إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي ، عماد الدين للنشر والتوزيع. عمان (٢٠١١م)
- الشريدة ،خالد سليمان. الإدارة الزنكية العامة في بلاد الشام، مجلة كلية التربية (القسم الأدبي) جامعة عين شمس. القاهرة. ع١٤، ج٢، (٢٠٠٨م).
- الطحاوي، حاتم . الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ط١ (١٩٩٩م
- الطحاوي ،حاتم . الصليبيون مجلة الاجتهاد . دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت ،ع٣٣ ،١٩٩٦م.
- طرخان، إبراهيم. النظم الإقطاعية في الشرق الوسط في العصور الوسطى. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (١٩٦٨م)
- عبد الحافظ. عادل حمزة . العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٢٥-١٢٥٠م / ٥٤٧-٦٤٨هـ مكتبة مدبولي. القاهرة. (١٩٨٩م

- عبدالقادر، عبد الشافي غنيم . حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية في العصر النورمندي (٤٨٤-٦٦٧ هـ / ١٠٩١-١٢٦٨ م) رسالة دكتوراه، آداب، جامعة القاهرة (د. ت)
- عبد المجيد بهيني. أوضاع المسلمين تحت الإدارة الصليبية من خلال رحلة ابن جبير (النصوص – التوظيف – الواقع التاريخي) مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة. الرباط. ع١١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
- عزب، خالد محمد . العلاقات الاقتصادية بين العالم الإسلامي والغرب، رواية تاريخية، مجلة الاجتهاد، ع٣٣، س٨،بيروت (١٤١٧هـ /١٩٩٦ م)
- على السيد، علي محمود . العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م)
- على الغمراوي . أضواء جديدة على العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والفرنج في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، مجلة الدارة، الرياض، ع١، س١٨، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٤١٢هـ
- عوض، محمد مؤنس أحمد . في الصراع الإسلامي الصليبي، السياسة الخارجية للدولة النورية ٥٤١-٥٦٩ هـ ١١٤٦-١١٧٤ م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة. ط١ (١٩٩٨)
- قاسم، عبده قاسم . ماهية الحروب الصليبية، الأيدلوجية – الدوافع – النتائج، منشورات ذات السلاسل، ط٢ (١٩٩٣ م)
- قلعجي، قدري . صلاح الدين، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت (١٩٩٢ م)
- محمد ماهر حمادة. وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ٤٨٩-٨٠٦هـ/١٠٩٦-١٤٠٤م، دراسة نصوص . مؤسسة الرسالة. بيروت، ط٣. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- المطوي ،محمد العروسي . الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، بيروت ، لبنان ، دار الغرب الإسلامي (١٩٨٢م).)
- النبراوي ،رأفت محمد. النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري .مكتبة زهراء الشرق .القاهرة (٢٠٠٠م).

- نسيم، جوزيف . العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الإسكندرية (١٩٦٧م)
- هامرتن ،جون . تاريخ العالم، نشر باشراف هامرتن، الترجمة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د . ت))
- هنتس، فالتر .المكاييل والموازين الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري،ترجمه عن الألمانية كامل العسلي ،عمان ،الأردن ،الجامعة الأردنية(٢٠٠١م) .

المراجع الأجنبية :

- Beehoolles (H). Historia diplomatical Fridrici Tom ٣ , Paris, ١٨٥٢–١٨٦١m
- Brand (C.M). The Byzantines and Saladin, Speculum Vol.٣٧, New York ١٩٦٢
- Cave and Coulson. A source Book for Medievial Economic history, New York , ١٩٦٥,
- C F. Conder (C. R) , The Latin Kingdom of Jerusalem (١٠٩٩–١٢٩١), London , ١٨٩٧
- C. F . Kantorowicz (E) . Fredrick The Second (١١٩٤–١٢٥٠) translated by Lorimer (E-O) London , ١٩٣٠
- Gilchrist .J. The Church and Economic Activity in the Middle Age, New York, ١٩٦٩,
- Nicholson (I.R) . JoselynIII and the fall of the Crusader State (١١٣٤–١١٩٩) Speculum Volume د Leiden,١٩٧٣,
- Slaughter (G) . The Amazing Fredrick , London ١٩٣٧
- Throop.P.A.Criticism of the Crusade a Study of Public Opinion and Crusade Propaganda, Philadelphia ١٩٧٥,
- Vinsofofs (G), Itinerary of Richard I and others to the Holyland, London, ١٨٤٨, New York ١٩٦٩

* * *